العنقري

سلسلة شروح فضيلة الشيخ (٦)

شرح

على شرح ابن أبي العز الحنفي على

العقيدة الطحاوية

لفضيلة الشيخ الدكتور

عبد الله بن عبد العزيز العنقري

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

الشيخ لم يراجع التفريغ

شرح

على شرح ابن أبي العز الحنفي على

العقيدة الطحاوية

alanqri drangari

للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛

يرجى المراسلة على البريد التالي:

tafreeghalangri@gmail.com

سلسلة شروح فضيلة الشيخ ٦

شرح

على شرح ابن أبي العز الحنفي على العقيدة الطحاوية

لفضيلة الشيخ الدكتور
عبد الله بن عبد العزيز العنقري
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

النسخة الأولى

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ:

فاليوم بإذن الله عَزَّوَجَلَّ نمر قدر المستطاع على جملة من الفوائد في «**شرح الطحاوية**» لابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حسب ما في الإعلان، وهذا الشرح للاعتقاد كتبه أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد شرح هذه العقيدة عددٌ من المتكلمين المنحرفين، فأرادوا جعل هذا الاعتقاد متماشيًا مع اعتقادهم الباطل.

لذلك قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «**النونية**» عند ذكر كلام العلماء في الصفات:

[وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ الطَّحَاوِيِّ الرِّضَا وَأَجِرْهُ مِن تَحْرِيفِ ذِي بُهْتَانِ]

ومراده رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن للطحاوي في هذه العقيدة كلامًا حرّفه بعضُ من شرحوا هذه العقيدة من المتكلمين.

وأشار إلى هذا –أيضًا– ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ الشارح، وأوضح أن كلام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد فسّره بعض الزائغين من المتكلمين بكلامٍ يتماشى مع معتقدهم، والأمر على خلاف ذلك.

جاء القاضي ابن أبي العز الحنفي –مشهور بهذا– رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو علي بن علي الدمشقي الحنفي، شرح هذا الكتاب شرحًا نفيسًا، أخذ مادةً كثيرةً منه من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، ومع ذلك لم يتمكن من التصريح باسميهما رحمهما الله أو أن يذكر أن ما نقله مأخوذٌ من كتبهما؛ لكن ذكر ابن القيم في موضعين من الكتاب باسمه والسبب في عدم قدرته، هو تسلط أهل البدع من المتكلمين

والصوفية على القائمين بمذهب السلف الصالح، وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولذلك: لم يسلم حتى ابن أبي العز نفسه فيما بعد، فإنهم تسلّطوا عليه وامتحنوه وعزلوه من وظائفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما تسلّطوا على شيخي الإسلام من قبل: ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله.

الحقيقة أن هذا الشرح هو الذي نشر المتن عند أهل السنة، **أي**: الذي جعل «متن الطحاوية» يشتهر هذا الاشتهار هو شرح ابن أبي العز؛ لأن الشارح ابن أبي العز ذو عقيدةٍ صحيحة، فصار ينقل الأدلة من الكتاب والسنة وينقل آثار السلف، وكلام أئمة السنة عندما يشرح المتن، الذي سيأتي- إن شاء الله تعالى- ذكر الموضوعات التي تطرق الطحاوي إليها فيه إجمالا، وبذلك جمع هذا الشرح نصوصاً وكلاماً للعلماء في أبواب الاعتقاد، وإن لم يكن مستوعباً لأنه لو استوعب لطال الشرح جدًّا وهو أصلاً طويل.

الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يلتزم منهجاً مُطرداً بذكر هذه الأدلة في كل مسألة من مسائل الاعتقاد ولذلك قد ينشط في بعض المسائل وفي مواضع أخرى من الشرح قد يوجز.

❁ يمكن أن نقول إن اعتقاد الطحاوي هذا رَحِمَهُ ٱللَّهُ الموجود فيه ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

❍ **القسم الأول**: وهو الأكثر المنضبط المتماشي مع اعتقاد أهل السنة بلا شك، وهو أكثر ما في هذا المتن متن الطحاوي أبي جعفر.

❍ **القسم الثاني**: ما هو على خلاف قول أهل السنة بلا شك كقوله في الإيمان ويأتينا- إن شاء الله- لأن أبا جعفر عفا الله عنه في أول الطحاوية في أول المتن، ذكر أنه يقرر ما قرره أبو حنيفة وتلميذاه أبو يوسف ومحمد بن الحسن رحم الله الجميع، ومعلومٌ أن أبا حنيفة -غفر الله له- يقول بقول مرجئة الفقهاء بإخراج العمل من الإيمان؛ فلهذا لما جاء الطحاوي إلى هذا الموضع قال بقول مرجئة الفقهاء كما يأتي بإذن الله تعالى التنبيه عليه.

❍ **القسم الثالث**: مما في «**شرح الطحاوية**» كلماتٌ مجملة وألفاظٌ مجملة تحتمل أن يُريد بها صاحب العقيدة الصحيحة معنىً سليمًا، وتحتمل أن يريد بها صاحب العقيدة الفاسدة معنىً سيِّئًا، ولهذا يأتينا -بإذن الله تعالى- أن هذه الكلمات المجملة كان السلف يجتنبونها لأنها تُشكِل في الحقيقة، الكلمة إذا كانت مجملة كما سيأتي -إن شاء الله تعالى- توضيح ذلك تُشكل ماذا تريد بها أنت؟ لا أجدها في القرآن

ولا في السنة، ولم تُعبّر بالمصطلح الموجود في القرآن والسنة نفيًا أو إثباتًا، أتيت بلفظٍ مجمل، قد يقوله المعتزلي ويريد به معنى باطلًا، وقد يطلقه من له اعتقادٌ صحيح ويريد به معنى صحيحًا، فصار الإشكال في اللفظ المجمل كما -إن شاء الله تعالى- يأتي الكلام عليه مفصلا.

المسألة الثانية في الموضوعات التي ذكرها الطحاوي في عقيدته على وجه الإجمال سنسردها إجمالا -إن شاء الله تعالى-.

الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر في هذه العقيدة التوحيد بأنواعه، الربوبية، والأولوهية، والأسماء والصفات، ثم ذكر نبوة نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثم النص على أن القرآن كلام الله، وتكفير من قال بأنه مخلوق ومما تطرق إليه أن من شبه الله تعالى بخلقه كفر.

من الموضوعات التي أفردها واهتم بها رؤية الله في الجنة، ومنها وجوب التسليم لله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومنها -أيضًا- وجوب ترك سبيل نفاة الصفات وأهل التشبيه معًا من ترك سبيل المعطلة والممثلة جميعًا، ثم ذكر العروج بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن ذكر المسائل الماضية، ثم ذكر الحوض الذي يكون في القيامة، ثم الشفاعة، ثم الميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم.

ذكر القدر مُفرّقًا في عدّة مواضع منها: أول العقيدة حين ذكر التوحيد؛ ولما ذكر الميثاق ذكر القدر بذكره مرتبة العلم وذكر أن القدر سر الله في خلقه وفرّق الحقيقة الكلام في القدر تفريقًا واضحًا في العقيدة هذه.

ذكر بعد ذلك اللوح المحفوظ والقلم وأن ما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه وهذه مسألة أيضًا مرتبطة بالقدر كما تلاحظ أي: يذكر القدر في أثناء كلامه للعقيدة، وذكر التحذير من النزاع في القدر، ثم ذكر العرش أو الكرسي وأن الله مستغنٍ عن العرش وما دونه وأنه فوق العرش، هذه من أشد المواضع على المتكلمين، المتكلمون الذين أرادوا أن يجعلوا هذه العقيدة على أصولهم الفاسدة لما أتوا إلى هذا الموضع وفيه تصريح أبي جعفر رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأن الله تعالى فوق العرش أجهدهم هذا جدًّا هذا يتعارض تمامًا مع مقولة المتكلمين.

ثم ذكر اتخاذ الله إبراهيم خليلا وتكليم الله تعالى موسى تكليما، بعد ذلك تكلم عن رُكن الإيمان بالملائكة والأنبياء والكتب، ثم ذكر تسمية أهل القبلة بالمسلمين، ثم عاد لموضوع القرآن وأنه كلام الله،

ثم عاد مرةً أخرى لعدم التكفير بالذنوب، ثم ذكر موضع الإيمان وتعريفه عنده، ثم أهل الكبائر وحكمهم، ثم عدم رفع السيف على الأمة إلا من وجب عليه السيف شرعًا، ثم ما يتعلق بولاة الأمر وترك الخروج على ولاة الأمر وإن جاروا ما لم يأمروا بمعصية، وذكر وجوب أتباع السنة ولزوم الجماعة، ثم ذكر المسح على الخفين، ثم عاد ليذكر أن الحج والجهاد ماضيان مع ولاة الأمور، ثم ذكر الإيمان بالملائكة، **لاحظ كيف**: بعد هذه الموضوعات عاد مرةً أخرى للكلام على الإيمان بالملائكة الكرام الكاتبين، ثم ذكر عذاب القبر وأن القبر روضةً من رياض الجنة أو حفرةً من حفر النار، ثم البعث والجنة والنار، بعدها عاد لمسألة تتعلق بالقدر وهي استطاعة العبد وأنها على نوعين ثم ذكر مسألة أخرى -أيضًا- تتعلق بالقدر وهي خلق أفعال العباد، بعدها عاد لذكر مسألة تتعلق بصفات الله وهي إثبات أن الله يغضب ويرضى، ثم ذكر الاعتقاد في الصحابة ﷺ، ثم علماء السلف، ثم الاعتقاد في أولياء الله وكراماتهم، ثم رجع بعد ذلك لذكر أشراط الساعة.

لاحظ كيف أشراط الساعة؟ ذكر قبلها البعث والجنة والنار، مع أن أشراط الساعة عادةً تذكر ثم يذكر بعدها البعث والجنة والنار؛ لكن ذكر أشراط الساعة في آخر الكتاب، ثم ذكر عدم تصديق الكهان والعرافين وختم بأن هذا الدين وسط بين الغلو والجفاء، وذكر البراءة من الفرق الضالة وسمى بعضها والحكم بأنهم جميعًا ضلال.

هذا بإجمال ما يتعلق بالموضوعات التي ذكرها أبو جعفر في عقيدته، فيما يتعلق بشارح كتاب كهذا لا شك أنه سيجهد الحقيقة سيتعب وهذا الذي حصل لابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإن المتن إذا كانت موضوعاته مفرقة، وغير مرتبة فإن ذلك يستدعي أن تتكلم عن الموضوع الواحد في كل مرة يورد الكلام صاحب المتن الذي تشرحه؛ فتتكلم عن القدر في موضع، ثم تعود لتتكلم عنه في موضع، لعل أكثر موضوع -والله أعلم- ذكره في هذه العقيدة هو «القدر» لكنه فرّقة، معظم **أي**: أكثر الموضوعات ذكرًا هو «القدر»، في هذه العقيدة وذلك والله أعلم فيما يظهر؛ لأن هذه المسألة وجِد من أهل البدع والضلال من يذكرها فبناءً عليه أكثر من ذكرها، ودلّ على أنه من الموضوعات التي تهم الطحاوي كثيرًا؛ فلأجل ذلك يعود إليها كل مرة.

❍ نبه الشارح إلى مسألة تجيب على كلامنا هذا: لماذا الطحاوي يجعل الكتاب بهذه الطريقة؟!

ذكر الشارح أن الطحاوي لم يقصد الترتيب أصلاً، بل كتب العقيدة ليُدوّن اِعتقاده فقط؛ **أي**: أراد أن

يُبيّن ماذا يعتقد في هذه المسائل من مسائل الدين؛ لذا جاء فيها هذا التداخل.

الحقيقة ابن أبي العز رجل مرتّب؛ لهذا ماذا قال؟!

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : المصنف الذي يصنف في الاعتقاد وأصول الدين أحسن ما يرتب عليه في باب العقيدة أن يُجعل على ترتيب جواب جبريل للنبي ﷺ ، حين سأله عن الإيمان فقال: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله إلى آخره**» **يقول**: فيبدأ بالكلام في التوحيد والصفات وما يتعلق بذلك، ثم الكلام في الملائكة، وهكذا حتى ينهي حديث جبريل.

ومراده أن المصنف في الاعتقاد ينبغي أن يبدأ بباب التوحيد ولا ينتقل منه إلى أيّ موضوعٍ آخر حتى يُكمله، ثم يُثني بباب الملائكة حتى يكمله، ثم يُثني بباب الكتب حتى يُكمله بهذه الطريقة تنتظم العقيدة ومسائلها بخلاف ما إذا كانت تتكرر بين فينةٍ وفينة، ويسلم الكتابُ بذلك –أيضًا– من التكرار والتداخل في موضوعاته.

هناك ملحوظات ذكرها الشارح على المتن، منها ملاحظات علمية ومنها ملاحظات حتى في الأسلوب:

–مما لاحظه الشارح على المتن وجود السجع وذكر الشارح أن السجع عادة يكون في الخطب، أمّا كتب العلم فالسجع فيها ليس بمعتاد، يسجع في كتب العلم، يقول السجع بالخطب أشبه منه بكتب العلم.

–مما يلحظ على الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه لم يعلق على كل كلام الطحاوي، فهناك مواضع ترك التعليق عليها في العقيدة نفسها.

هذا مجمل ما نقوله في المقدمة الآن عن شرح الكتاب هذا لابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، من الآن – إن شاء الله تعالى– إلى نهاية درس العشاء سأسرد إن شاء الله الفوائد العامة على الكتاب، قد تستغرب أنت الطريقة هذه؛ لأن من المعتاد عندنا الحقيقة هو أنّ نشرحُ متنًا يقرأ الطالب ونشرح المتن واحدةً واحدة، هذا الكتاب سبق شرحه في هذه الدورة من جهة، ومن جهة أخرى نحن نريد التزام الحقيقة الموجود في الإعلان وهو «**شرح الطحاوية**» لابن أبي العز؛ فلا نريد الخروج عنه بأن نشرح المتن نفسه؛ لأن الشرح سُمّي باسم صاحب الشرح، وبذلك الآن –إن شاء الله تعالى– سأسرد فوائد شرح الطحاوية ولعله أن يكون مناسبًا؛ لأن ربما كثير منكم قد حضر شرح الطحاوية؛ **أي**: شرح كلام الطحاوي.

الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم

سنأخذ اليوم- بإذن الله- فوائد نفيسة جدًّا مما شرحه ابن أبي العز؛ فسنحاول قدر المستطاع أن نختصر أهم الفوائد الموجودة في هذا الشرح الكبير لابن أبي العز، ونبدأ بكلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التوحيد.

من أهم الفوائد التي ذكرها ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة الشرح عند أول شرح كلامه على التوحيد أن باب الاعتقاد يُتلقى من الوحي، **أي**: لا يستطيع أحد أن يقول اعتقدوا هذا الاعتقاد لأني أقوله، من أنت؟ حتى نعتقد اعتقادك لا تُقبل في مسائل الاعتقاد إلا النصوص؛ فلو قال لك أحد سمِّ لي ملكًا غير جبريل أو ميكائيل أو إسرافيل ومن ذكروا في النصوص، أعطني اسمه ليس عندك إلا جواب واحد لا أستطيع أن أعطيك أي اسم، إلا إذا وجد في القرآن والسنة، كذلك الحال الرسل، كذلك الحال ما يتعلق بأمر الجنة والنار والبعث، وأعظم من ذلك، وأجّل وأكبر الاعتقاد في الله رب العالمين، فلا نستطيع أن نعتقد في الله عَزَّوَجَلَّ أي اعتقاد إثباتًا ولا نفيًا إلا بالنصوص، إذا خرجت عن النصوص وقعت في ماذا؟ وقعت في القول بلا علم، لا شك أنك تقع في القول بلا علم لأن باب الاعتقاد هو بابُ تلقِي، **أي**: في التوقيف فهو ليس من الأبواب الاجتهادية التي يمكن أن يجتمع العلماء ويستنبطوا أمرًا إعتقاديًا على سبيل الاستنباط هذا محال هذا الأمر، هذا يكون في الفقه في مسائل الفقه.

لهذا ابتدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتنبيه على أن أمور الاعتقاد تُتلقى من الوحي قد تستغرب أنت تقول وهل هذا جديد؟ هل هذا جديد أن الاعتقاد يتلقى من الوحي؟ هو يريد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن ينبهك كما سيأتي -إن شاء الله تعالى- إلى من تلقوا الاعتقاد من غير الوحي، الذين تلقوا الاعتقاد من غير الوحي هم الذين سببوا الفتنة الكبرى في الأمة، لو تتأمل جميع الفراق، كلها بدون استثناء، أيّ فرقة ضالة تجد أنها خرجت عن الوحي، ولذلك صارت فرقة، ولو أنها التزمت بالوحي ما صارت فرقة؛ لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ترك الأمة على مثل البيضاء ليلها كنهارها، قال: «**لاَ يَزِيغُ عَنْهَا إِلاَّ هَالِكٌ**»، هذا الذي ترك الأمة عليه هو النصوص القرآنية

والسنة، فمن خرج عن نصوص أهل القرآن والسنة، باعتقاد عقيدةٍ باطلة ليست في القرآن ولا في السنة، أو بفهم نصٍ على غير ما فهمه السلف رضي الله عنهم فإنه سيضل بلا شك، ولهذا الخوارج ضلّوا وكبار الصحابة موجودون، الخوارج ما أتوا بعقيدة، تلقوها مثلًا مثل ما وقع للمتكلمين تلقوها مثلًا من فلاسفة اليونان لا؛ لكن فهموا النصوص فهمًا خالفوا به السلف، إذا فهمت فهمًا خالفت به السلف فهذا ابتداع بلا شك.

إذًا فالتركيز من البداية على أمر الوحي وأنه يتلقى منه فقط هناك المتصوفة صاروا يقولون نحن نتلقى مما يأتينا -إن شاء الله- مما سموه الكشف، فيقول تنكشف لنا أمور من خلال ممارسات ورياضات يمارسونها يقول فتنكشف لنا أمور، هذه الأمور عليها دليل من الكتاب والسنة؟ قال: لا، على أي أساس تعتقدها؟ على أي أساسٍ تُربي الناس عليها وتجمع لك فرقة يبايعونك بيعة يأتي المريد ويبايع الشيخ على ما هو عليه من ممارسات إمّا في الأقوال وفي الأفعال وفي الاعتقادات، وهذه كشوف أيّ كشوف من أين تلقيتموها؟ يقول عندنا ما يسمونه بعلم الحقيقة، وأنتم عندكم علم الشريعة؛ فعلم الحقيقة هذا علم لا ينسكب إلا في نفوس الكُمّل من عباد الله، الذين يمارسون جملة من الرياضات المخالفة قطعًا للنصوص ثم من خلال هذه الممارسة لهذه الرياضات تنسكب في قلوبهم هذه العلوم التي يسمونها العلوم اللدُنية وليست هي من العلم اللدُني في قليل ولا كثير؛ لذلك لا بُدَّ من التركيز على أن الاعتقاد يتلقى من الوحي حتى يرد على من يلتمس الاعتقاد مما سمّاهُ عقلًا كالمعتزلة والمتكلمين أو مما سمّاه كشفًا كالمتصوفة.

۞ بعد ذلك نبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أن العلم بالاعتقاد ينقسم إلى قسمين:

○ القسم الأول: علمٌ إجمالي يجب على كل أحد.

○ القسم الثاني: علمٌ تفصيلي.

وهذا الموضع يحتاج إلى تبيّين.

○ **العلم الإجمالي:** يمكن أن أعبر عنه بما يسمى الآن: بالحد الأدنى الذي يصح به الاعتقاد، فالعامي مثلًا غير مطالب في موضوع الملائكة إلا أن يعلم أن لله ملائكةً مطيعون لله عَزَّوَجَلَّ يأتمرون بأمره؛ لكن أسماؤهم لو لم يعرف العامي اسم جبريل وميكائيل وإسرافيل ما يضره؛ لكن لا بُدَّ أن يعتقد ما قاله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث جبريل قال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ**» يؤمن بأن لله تعالى ملائكة؛

لكن أسماءهم وتفاصيل أعمالهم هذه لا تلزم العامي بحيث يقول لا يصح اعتقاده إلا إذا عرف اسم جبريل واسم ميكائيل ونحو ذلك.

الآن لعل أكثر أُمة محمد ﷺ وقبل الآن الحقيقة، لو قيل لهم عددوا أسماء الأنبياء المذكورون في القرآن حتى أكثر الناس لا يستطيع الجواب، ومع ذلك عقيدته في الرسل صحيحة سليمة؛ لأنه يؤمن أن الله تعالى بعث رسلًا يهدي بهم البشر لا بُدَّ قطعًا أن يعرف محمدًا ﷺ يقينًا جزمًا لأنه يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؛ لكن لو لم يعرف شُعيبًا هذا عامي لا يقرأ ولا يكتب، ولا يقرأ القرآن، فإذا لم يعلم أن لله نبيًا اسمه شعيب ونبيًا اسمه هود، عقيدته صحيحة، لماذا؟ لأن المطلوب منه العلم الإجمالي، وقس على هذا أشياء.

من تكلم عن العلم الإجمالي الذي فيه الحد الأدنى الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرحه للأصول الثلاثة»، تكلم عن العلم الإجمالي في كل أركان الإيمان، ما الذي يلزم أن نُلقنه العامة في موضوع الملائكة؟ لأن يأتيك عندك عامي قد يدخل الإسلام إنسان، بعد كبر سن، هذا الإنسان لا يستطيع أن يعرف اللغة التي تتحدث بها لهذا تتكلم معهم من خلال مترجم، فأنت تلقنه ما يصح به اعتقاده، وقد يكون عاميًا من نفس لغتك؛ لكن لا يستطيع استيعاب ما تقول، فتعطيه ما يمكن أن يُعبّر عنه بالحد الأدنى من الاعتقاد، الذي إذا لقي الله به صح اعتقاده، وبه تعرف أن الاعتقاد الإجمالي سهل جدًّا ويسير أن يُلقّنه الناس.

❍ **العلم التفصيلي**: الاعتقاد هو الذي عند أهل العلم ولا بُدَّ أن يقوم به من يحقق فرض الكفاية؛ لأن العلم الإجمالي هذا فرض عين على كل أحد من المسلمين، أمّا العلم التفصيلي فهو على أهل العلم ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢]، لا بُدَّ أن يتصدى للعلم أناس في الأمة يبثون هذا العلم وينشرونه، هؤلاء هم الذين عندهم العلم التفصيلي.

فلو طلبت من طالب علم أن يضع محاضرة من الآن إلى ساعة كاملة عن اليوم الآخر، بدءًا من ما يتعلق بالقبر وما يكون فيه، وأشراط الساعة وأنها صغرى وكبرى، ومواقف القيامة بدءًا من البعث والأحوال الهائلة التي تكون في ما قبل الجزاء والحساب ومقامات الساعة ومقامات القيامة ثم الجزاء والحساب وأنواع الناس في الجزاء والحساب، ثم الجنة والنار ودرجات الناس في الجنة وفي النار تنتهي

الساعة وهو لم يُكمل. لماذا؟ لأن عنده علمًا تفصيليًا باليوم الآخر، أمّا العامي مثل ما ذكرنا فعنده علم إجمالي أن الله سيبعث من في القبور وأنه سيجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإسأته وأن الناس يستقرون فريقٌ في الجنة وفريق في السعير، إذا هذا الفرق بين العلم الإجمالي والعلم التفصيلي.

ولهذا –أيضًا– قد يخطئ العامي في مسائل فتُتحمّل منه؛ لأنه ليس عنده إلا العلم الإجمالي بخلاف من لديه علم فإن عنده علمًا تفصيليًا يفترض بل هو الأمر كذلك أن خطأه ليس كخطإ العامي، بل قال أهل العلم إن خطأ العامي الذي يكون بين أهل العلم، ليس كخطإ العامي الذي يكون في موضع النائي عن أهل العلم، وكلهم عامة، وذلك أن العلم مراحل ومستويات، بناءً عليه نعرف الفرق بين العلم الإجمالي والعلم التفصيلي.

۞ من الفوائد التي نبه عليها الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

فائدة الحقيقة نفيسة فيها بيان حال من ضلوا في الاعتقاد.

يقول: «**أَنَّ عَامَّةَ مَنْ ضَلَّ**»؛ ماذا نفهم من كلمة «**عامة من ضل**»؟ **أي**: ليس الجميع؛ لكن أكثرهم كذلك، عامة من ضل في الاعتقاد سبب ضلالهم هو: «**التفريط في اتباع ما جاء به الرسول** ﷺ »، فلما أعرضوا عن الطريق السليم الموصل لله دخل عليهم الضلال.

❍ في هذه الحالة هم ملومون أو غير ملومين؟!

ملومون؛ لأن من أخطأ بسبب أنه سلك الطريق المخالف لطريق الرسول ﷺ وقال من قال لك أسلك هذا الطريق الفاسد؟ يقينًا ستضل بخلاف من أخطأ وقد سلك على الطريق الصحيح فأساء فهم نص من النصوص يمكن هذا يقع لكن هو على الجادة المستقيمة، فأخطأ في فهم نص فمن السهل جدًّا أن تعيده إلى الجادة، قال أنت أخطأت في هذا الفهم، هذا الفهم خالف فهم الصحابة والتابعين، فيعود مباشرة أمّا من اتخذ طريقًا مخالفًا لطريق الرسول ﷺ فإنه في هذه الحالة ملوم بلا شك؛ لهذا قال: «**عامة من ضلوا في الاعتقاد سبب ضلالهم تفريطهم في اتباع ما جاء به الرسول** ﷺ » فلما أعرضوا عن هذا الطريق السليم الموصل لله دخل عليهم الضلال.

الله –تعالى– بعث رسولًا ﷺ وأنزل كتابًا؛ فالواجب أن يؤخذ الحق من الرسول ﷺ ومن الكتاب الذي فيه كلام الله رب العالمين.

❍ **فعندنا على سبيل المثال:** من سمّوا بالمتكلمين، يعدلون عن هذا إلى ما سمّوه عقلًا، ويؤسسون إعتقادهم إلى ما أطلقوا عليه العقل وهل يقرون؟ فيقال المعتزلة تقدم العقل الواقع أن هذا ليس بصواب، المعتزلة بنص القرآن تُقدم الهوى، ولا تقدم العقل، **أي:** ليسوا هم العقلاء وبقية الأمة بدون عقل، فهو هوىً سمّوه عقلًا، والدليل على هذا في القرآن، ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [القصص:٥٠].

يقول ابن القيم: ما ثم إلا طريقان: إمّا الاتباع أو الهوى، هذا المنصوص في القرآن، فالذي لا يتبع طريق رسول الله ﷺ سيسمي الطريق الذي اخترعه سيسميه باسمٍ يحسنه عند الناس، لن يقل أيها الناس اتبعوني في هواي، ما يطيعه أحد؛ لكن يسميه باسم يحسنه عند الناس فيقول نحن نقدم العقل، عمرو بن عبيد والعلّاف وواصل بن عطاء وأضرابهم أعقل أم أبو بكرٍ وعمر وعثمان والمهاجرون والأنصار، ما فيه مسلم إلا ويقول إنه أصلاً لا توجد مقارنة بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم وبين غيرهم؛ لهذا الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ له كتابان كلاهما باسم «الرسالة»، «الرسالة» الموجودة الآن هي المشهورة؛ لكن له رسالة أخرى سواها ينقل منها أهل العلم يظهر أنها غير موجودة تجد نقولًا منها نفيسة في مثل «إعلام الموقعين» لابن القيم وغيره، **يقول** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في الصحابة** رضي الله عنهم: «هم فوقنا في كل علمٍ وعقلٍ وكل أمرٍ استدرك به خير، واختيارهم لنا خير من اختيارنا لأنفسنا» هذا الذي يعرف قدر الصحابة رضي الله عنهم، الصحابة رضي الله عنهم يزكون ليس فقط في دينهم تزكيتهم في دينهم ما فيها إشكال لا يخالف فيها إلا الرافضة، مُزكّون في علمهم بنص القرآن، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران:١٦٤]، **الأستاذ هو:** محمد بن عبد الله ﷺ؛ لن تجد أفضل ولا أعلم ممن يعلمهم رسول الله ﷺ؛ ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤]، كل مخالفة لما كان عليه الصحابة عودٌ بالأمة للضلال المبين، والدليل على هذا مقالات المعتزلة تنتهي إلى أين؟ إلى أجهل خلق الله بالله وهم الفلاسفة، وهكذا المتكلمون عمومًا المتكلمون خلطوا الفلسفة بالكلام وأنشأوا ما سموه علم الكلام منشأ فلسفيًا، أجهل من يعرف من يتحدث عن الله هم فلاسفة اليونان، ثُلة لا تعرف الله تعالى

طرفة عين، نفس الوضع من سوى المتكلمين.

إذا قلنا المتكلمون بطوائفهم بدءًا من الجهمية والمعتزلة والكُلابية وفروعها من الأشعرية والماتريدية وكل فرقة كلامية؛ فهؤلاء أسسوا على ما سمّوه عقلًا، وأول ما يقال يقال من قال لكم إن هذا عقل؟ ليس بعقل؛ أعقل الناس أصحاب رسول الله ﷺ وهم أعلم الناس، وهكذا المسارات الأخرى كمسار التصوف الذي سمّوه كشفًا، هم يصرحون تصريحًا بذم العلم وتحقير أهله، ويسمون علماء الشريعة بعلماء الرسوم الجامدون على النصوص، ويقولون أنتم تتلقون علمكم ميتًا عن ميت ونحن نتلقى علمنا عن الحي الذي لا يموت.

يقول شيخ الإسلام –ابن تيمية– رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه الكشوف هي في واقعها وساوس من الشيطان ألقاها في صدورهم فتوهموها من عند الله عَزَّوَجَلَّ، والدليل على هذا أنها تخالف وتصادم الحق المبين في القرآن والسنة؛ لأجل ذلك لا بُدَّ من ضبط المسألة هذه الحقيقة أن من خرج عن النصوص فلا بُدَّ أن يضل وخروجه عن نصوص بأحد طريقين:

- **الطريق الأول:** بأن يبحث عن مصدرٍ يستقي منه الحق سوى النصوص.
- **الطريق الثاني:** أن يفهم النصوص فهما يخالف به فهم السلف الصالح رضي الله عنهم.

من أدلة كون الصحابة أعلم الأمة رضي الله عنهم ما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرِّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ**» قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**العِلْمَ**»، علم الرسول عند الصحابة رضي الله عنهم فهم أعلم الناس بعد رسول الله ﷺ ؛ ولهذا لا يمكن أن يأتي أحد أفضل من الصحابة علمًا مطلقًا، لا تعدد علينا أي شخص نهائيًا، هناك مصنف لابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ سماه «فضل علم السلف على علم الخلف»، مفيد لطالب العلم أن يطّلع عليه، يقول ما الذي تميز به الخلف؟ يقول كثرة الكلام، والمصنفات الكثيرة التي تصل بعض الأحيان إلى الثلاثين والأربعين مجلدًا، فيظن الناس أن هذا الذي ألف هذه المجلدات الكثيرة هذا عالم ليس بالضرورة، إذا نظرت في كتاب اسمه «المغني» لعبد الجبار الهمداني المعتزلي فلو أردت أن تستخرج منه الجهالات المتعددة لصنفت أنت مجلدات في جهالات هذا الرجل جهالات عجيبة جدًّا، أي: يأتي مثلًا إلى مسألة مثل: مسألة الرؤية، فيقول: وأشّفُ ما استدل به المجبرة على هذه المسألة

حديث يرويه قيس بن أبي حازم عن أبي بكر الصديق ﷺ، وقيس بن أبي حازم ليس بثقة إلى آخر كلامه، يظن أن أحاديث الرؤية يرويها أبو بكر فقط، تأتي إلى العالم السُنّي يقول لك ويأتينا- إن شاء الله- أحاديث الرؤية يرويها نحو ثلاثين من الصحابة، ثم يقولون عبد الجبار هذا أعرف المعتزلة بالحديث هذا ترى أعرفهم ما جاك الجاهل منهم أعرف المعتزلة بالحديث عبد الجبار الذي يقول: إن أشف عند أهل السنة حديث ابن أبي قيس عن أبي بكر في الرؤية ما عندهم إلا حديث واحد وهو حديث آحاد.

وإذا أردت أن تعرف جهالاتهم فخذ مسألة ويمكن يدرسها طالب علم ترى إذا كان فيكم أحد من طلاب الدراسات العليا خذ مسألة الآحاد التي يتحدثون عنها، فيقول لك: أحاديث الرؤيا آحاد هذه واحدة، أحاديث الشفاعة آحاد، أحاديث الحوض آحاد، أنت ماذا تفعل؟ تأتي بأحاديث الرؤية التي يرويها ثلاثون من الصحابة، أحاديث الشفاعة يرويها أكثر من عشرين، أحاديث الحوض نحواً من ثلاثين، حتى تعرف أن هؤلاء جهال بالنصوص وأن قولنا إنهم ضلوا بسبب عدولهم عن النصوص، كيف تعرف الحق وأنت لا تعرف الكتاب والسنة؟ ولهذا رجل مثل الغزالي أبي حامد صاحب كتاب «إحياء علوم الدين»، يقول أنا مزجى البضاعة في الحديث، إذا كان الإنسان مزجى البضاعة، مزجى البضاعة رديء البضاعة في الحديث، عندنا القرآن والسنة فإذا كان الإنسان مزجى البضاعة في الحديث، كيف يتحدث في أصول الدين؟ ولأجل ذلك؟ كتاب «الإحياء» على سبيل المثال مليء بالأحاديث الموضوعة المكذوبة على رسول الله ﷺ، هل يريد الغزالي نشر الموضوعات؟ لا قطعًا؛ لكن الذي حدث أنه لا يفرق بين الحديث المروي عن النبي ﷺ بسند صحيح، والحديث الموضوع، بل لا يفرق بين اللفظة الإسرائيلية وبين الحديث الثابت عن النبي ﷺ وينسب ذلك للنبي ﷺ وكذلك كلمات قالها فلان أو فلان يقول قال رسول الله ﷺ هذه الجهالات هذا الإشكال هنا إذا عندنا أمر المتكلمين على هذه الطريقة وأنهم سمّوا هذه الضلالات بالعقل، وهي ليست عقلًا وليست من العقل في شيء بل هي الهوى.

المتصوفة قلنا: إنهم يعدلون عن الكتاب والسنة إلى ما سموه كشفًا وذوقًا، وهذا انحراف في تلقي الحق حتى أن منهم من يقول إن عندنا ما سمّاه علم الحقيقة، وينصّون على أن علم الحقيقة يخالف علم الشريعة.

علم الشريعة مؤسس على الكتاب والسنة فيقول قائلهم عياذًا بالله فإن كنت في علم الشريعة عاصيًا

فإني في علم الحقيقة طائع ما معنى الكلام هذا؟ يقول إذا أفطرت في نهار رمضان عياذًا بالله أنا مخطئ في الشريعة؛ لكن أنا عندي علم لدُنيّ اسمه علم الحقيقة حلّ لي به المُحرّمات هكذا يقول نسأل الله العافية والسلامة، قطعًا حين نتكلم لا نقول جميع الصوفية لكنه منتشر انتشارًا شديدًا، وهم يرون أن الواحد منهم إذا بلغ ما سمّوه علم الحقيقة سقط عنه التكليف، أرادوا أن يستدلوا، وهذا مثال على الجهالات، قالوا إن الله تعالى يقول: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر:٩٩]، وسمَّوا علم الحقيقة؛ لأن سمّوه علم الحقيقة سمّوه اليقين.

❍ **واليقين ما هو؟!**

الموت بنص القرآن ولا لأ ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ﴾ [المدثر:٤٧]، الجاهل مشكلته جاهل، وفي حديث النبي ﷺ في حديث عثمان بن مظعون لما توفي قال «**أَمَّا هُوَ فَقَدْ أَتَاهُ الْيَقِينُ**»، فأراد أن يستدل على ما سماه بعلم الحقيقة بهذه الطريقة، يقول إن اليقين هذا نصل إليه، رسول الله ﷺ أعبد الناس وهو أعلم الناس بالله وكان يصلي حتى تورّمت قدماه؛ ولهذا نسأل الله العافية يقولون إذا وصل إلى هذه المرتبة سقط عنه الواجبات من صلاةٍ وزكاةٍ وصوم وحج وحلت له المحرمات نسأل الله العافية والسلامة.

فصاروا يقولون عندنا علم الحقيقة وعندكم علم الشريعة، نحن نعصي في علم الحقيقة ولأجل ذلك لماذا يتكرر في الصوفية يقول سلّم له حاله! سلّم له حاله، كيف سلّم له حاله؟ اتركه هذا عنده علم لا تدركه؛ لهذا لما ذكرت لهم جهالات وضلالات ابن عربي قال هذا الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر، لا تدركون مرامي كلامه، هو يقول عياذاً بالله بوحدة الوجود، وحدة الوجود مسألة أصلها من زنادقة الهند وأخذها الفلاسفة اليونان وسكبوها سكبًا فلسفيًا فأخذها عن فلسفة اليونان أي علم لدُّنِي عند هذا الشخص.

❍ **فالحاصل**: أن هذا باب ضلّ فيه من ضلّ بسبب أنهم حادوا عن اتباع النبي ﷺ فيما جاء به فلأجل ذلك إذا ضلوا فهم ملومون لأنهم أعرضوا عن الحق بخلاف من يخطئ في فهمه وهو داخل الجماعة داخل جماعة المسلمين فيضل فمباشرة يعدل، أما أن يتلقى عن غير الرسول ﷺ فلا شك أن الله تعالى يقول: ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ

﴿ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء:١٦٥]، فالذي يقيم الحجة هم الرسل لا ما يسمونه العقول أو الكشوف ونحو ذلك.

الإعراض عما جاء به الرسول ﷺ لا شك أنه سيوصل إلى الضلال، الله تعالى نفى عن نفسه أن يعذب أحدا دون أن يرسل له رسولا فقال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء:١٥]، لماذا؟ لأنه هو الذي تقوم به الحجة ولهذا يقول أهل النار عياذاً بالله: ﴿لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ﴾ [الملك:١٠] لاحظ كلمة العقل هذه اللي كانوا يدعونها في الدنيا كانوا يستهزئون بالرسل مثل الكفار يستهزئون بالرسل حين يقول الكفار إنه مجنون لماذا؟ لكمال عقولهم في نظرهم هم يقولون هذا مجنون العقول عندنا والاستهزاء دائما الاستهزاء يكون بمن يرون أنه في مرتبة دون فيرون أن الذين على الحق هم هؤلاء الكفار وأباؤهم من قبل، فيدركون الحقيقة في النار عياذاً بالله، ﴿لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠]، فأقروا أنهم أبعد ما يكونون عن العقل وأنهم أصحاب هوى، فنعلم بذلك أن ما يدعيه مخالفو الرسل من دلالة عقولهم على وجود خلل في النصوص خالف العقل، هذا يدل أبلغ الدلالة على أن عقولهم عقول فاسدة والعقل كما قلنا كما يعبر أهل العلم يقول العقل كالبصر.

❁ الناس في البصر نوعان:

- **الأول:** مبصرون.
- **الثاني:** عمي لا يبصرون.

❁ والناس في العقل نوعان:

- **الأول:** من آتاهم الله تعالى العقل فهم مكلفون شرعًا.
- **الثاني:** المجانين، فإذا جاء شخص يقول أنا الآن أرى ما لا ترون، أنا أبصر كذا ترونه هنا يقول لا نقول لا ما نراه، يقول أنا أبصر ما لا تبصرون، إلا الرسل عليهم الصلاة والسلام لأن الرسل وضعهم خاص فيرون ما لا نرى كما قالت عائشة ﵂ لما قال ﷺ كما في البخاري **أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ لَهَا: «يَا عَائِشَةُ هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلاَمَ»، فَقَالَتْ: وَعَلَيْهِ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، تَرَى مَا لاَ أَرَى، تُرِيدُ النَّبِيَّ ﷺ** نعم الرسل ترى ما لا نرى وتسمع ما لا نسمع إن الله يؤيدهم بالوحي لكن من سواهم إذا قال أنا أرى كذا الآن يقال هذا للبس في عقلك، وإلا الناس كلهم مبصرون كذلك العقل، إذا ادعى أحد دلالة عقلية يزعم بها رد النصوص فهذا يدل على فساد عقله لأن

أعقل الناس وأعلم الناس هم الصحابة ﷺ بعد الرسل عليهم الصلاة والسلام، لأجل ذلك هذه الحقيقة أهواء، كما تلون في الآية ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [القصص:٥٠]، هذه أهواء وليست عقولا وليست ما سموه كشوفا أو نحو ذلك، ولهذا يقول الله عن الكفار: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه:١٣٤]، يقول ابن كثير: أي لو أنا أهلكناهم قبل إرسال هذا الرسول وإنزال هذا الكتاب لكانوا قالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا أي قبل أن تهلكنا حتى نتبعه ومراد ابن كثير أن الحجة تقوم بالرسل فلو لم يرسل الله تعالى رسولا لاحتج الكفار، احتجوا بالرسول لأن الحجة تكون بالرسول، القيامة تدرك فيها الحقائق، في الدنيا يكثر الكذب ويكثر التلبيس؛ لكن في القيامة ما يكون إلا الحقائق؛ لهذا لا يذكرون إلا الحجة الحقيقية ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ [طه:١٣٤]، أما العقل الذي كانوا يقولونه فيقول: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠] .

بعد ذلك ذكر ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن ما سمي علم الكلام ليس بعلم وهذه مسألة نص عليها الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ونقل كلام الشافعي في ذم ما سمي بعلم الكلام ووجوب عقاب أهله واشتهر قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في العشائر والأسواق ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام، ترك الكتاب والسنة لأن إذا دخل في ما سماه علم الكلام فإنه بلا شك سيقدم دلالاته على الكتاب والسنة، وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ حكمي في أهل الكلام حكم عمر في صبيغ، صبيغ هذا الذي كان يسأل عن المتشابه في زمن عمر فضربه عمر ﷺ ضربا شديدا فيقول الشافعي حكمي فيهم مثل ما حكم عمر في صبيغ؛ **أي**: أنهم يضربون، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ لو أن رجلا أوصى بكتبه من العلم، **أي**: عندما أوصى قد يكون الإنسان عنده أولاد ليسوا من أهل العلم وعنده كتب وعنده مكتبة، فيقول إن تركت الكتب عند هؤلاء قد تضيع، وهذا يقع الحقيقة يكون الرجل من أهل العلم وله ذرية ليسوا علماء ليسوا طلاب علم فتضيع الكتب هذه فماذا يفعل؟ يوصي بكتبه يقول الشافعي لو إن رجلا أوصى بكتبه من العلم لما دخلت كتب الكلام لأن الكلام ليس بعلم ولو أن رجلا أوصى لأهل العلم في بلده، **أي**: قد يوصي رجل فيقول ثلثي يقسم على طلاب العلم في مكة، وعلى حملة العلم عموما في مكة، مثلا أو في المدينة أو في الرياض أو في أي بلد يقول الشافعي لا يدخل المتكلمون؛ لأن المتكلمين ليسوا علماء،

ونقل الإجماع على أن المتكلمين ليسوا من العلماء ابن عبد البر المالكي، وذكره –أيضًا– قوام السنة الأصبهاني الشافعي، وذكره غير واحد من أهل العلم إجماعا أن المتكلمين لا يعدون في طبقات العلماء أصلا؛ لأن الكلام ليس بعلم، إذا ماذا يكون؟ هوى هو هوى بنص القرآن ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص:٥٠] .

ولهذا لو تنظر في المخالفات الكثيرة في أبواب الدين عموماً في القدر في الإيمان في التوحيد في النبوة في الأسماء والصفات تجد أن مخالفات كثيرة على يد المتكلمين، مخالفات كثيرة جدًّا تخالف صريح النصوص، وذلك أنهم أسسوا تأسيسا فاسدا، سموه القانون الكلي هذا قالوا إن أي شيء يخالف العقل الذي قلنا إنه الهوى من النصوص فإنه يتأول، ليقدموا أهواءهم على النصوص، ولهذا يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونية: وتسلط الأوغاد والأوقاح والأرذال بالتحريف والبهتان، كل إذا قابلته بالنص قابله بتأويل بلا برهان، كل ما أتيت له بنص أولا، ويقول تأويلي كتأويل الذين تأولوا فوقية الرحمن، كل ما أتيت بنص ... الفلاسفة لاحقا، فأولت الجنة والنار، وأولت الميعاد، تسلطت الباطنية فأولت الصلاة والزكاة، والحج والصيام، قال ما في حج ولا في الصيام، الحج هو قصد شيوخ الطائفة الباطنية أليس الحج هو القصد؟ بلى، قال هذا الحج من قال إن الحج هو أن تذهب إلى مكة وتقوم هذه المقامات؟ ليس هذا الحج، والصلاة؟ قال الصلاة خمسة فاطمة علي والحسن والحسين ومحسن، هذا خمس، هذه الصلاة؛ لهذا لا يصلون، الباطنية لا يصلون والصوم؟ قال إذا جاء رمضان أفطر كل واشرب لماذا؟ لأن الصوم هو الإمساك الإمساك عن ماذا؟ عن سر الطائفة الباطنية ما تفشي،هذا معنى قول ابن القيم وتسلط الأوغاد والأوقاح والأرذال بالتحريف والبهتان، كل إذا قابلته بالنص قابله بتحريف بلا برهان، ويقول تأويلي كتأويل الذين تأولوا فوقية الرحمن، ولهذا ذكر ابن القيم على لسان الفلاسفة أنهم قالوا للمتكلمين الأنصار في صراع بين المتكلمين وبين الفلاسفة الفلاسفة الفلاسفة صارت تؤول حتى الجنة والنار، تقول ما في جنة ما في نار، ما في حساب، المتكلمون قالوا لا لا بُدَّ، قالوا لهم نعاملكم بنفس مكيالكم، ألستم تتأولون صفات الله وصفات الله النصوص الواردة فيها في كتاب الله أكثر من النصوص الواردة في القيامة، فإذا صح تأويل نصوص الصفات في باب أعظم من باب القيامة وهو باب الاعتقاد في الله، فتأويل أمور القيامة أيسر.

ولهذا ذكر على لسان الفلاسفة أنهم قالوا: ألكم على تأويلكم أجران حيث لنا على تأويلنا وزارن؟

إنا تأولنا وأنتم قد تأولتم فهاتوا واضح الفرقان يقول ما الفرق بين تأويلنا نحن وبين تأويلكم ألكم على تأويلكم أجران؟ **أي**: أنتم مجتهدون حيث لنا على تأويلنا وزران إنا تأولنا وأنتم قد تأولتم فهللتم تواضع الفرقان؟ انفتح الباب الحقيقة انفتح الباب للضلال بهذه الطريقة ولأجل ذلك الرافضة، مع ما ذكر الله من عظيم مقام الصحابة ﷺ، يتأولون هذه النصوص المتعلقة بالصحابة وبإيمانهم ويقولون ارتد الناس إلى أربعة، هذه النصوص، أولئك هم المؤمنون حقا، المفلحون الصادقون ما تتأول تتأول كل هذه النصوص وينقلب الآن الصحابة من خيار الأمة إلى الذين قال الله تعالى إن كنتم خير أمة إلى أن يكونوا شر أمة؟ قال نعم، انفتح الباب، ولهذا هذا التأويل فاسد، هناك رسالة للشيخ أحمد محمد نوح -أظنه من السنغال الشيخ- اسمها جناية التأويل، رسالة عظيمة أخذها من كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونية فصل في جنايات التأويل، ماذا فعل التأويل بالأمة هذا التأويل والتحريف في الحقيقة ماذا فعل بالأمة؟ كل من أتى نص تخلص منه بالتعريف، كل ما آتاهم نصا عبثوا بمدلوله، أنا الآن أجد تفسير ابن عباس وابن مسعود مجاهد وقتادة لهذا النص، ثم أجد عند المعتزلي أو عند الكلابي أو عند الرافضي أو عند الإباضي أجد عندهم ما يخالف هذا التفسير، أيقع في ذهنك أني ساترك كلام ابن مسعود الذي قال النبي ﷺ لما ضحك الصحابة على دقة ساقية قال: «**لَهُوَ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**» وآخذ بكلامك أنت يا عبد الجبار؟ يا لله العجب والله لا تعدلون عندهم ولا واحد في المئة بل لا تعدلون شيئا في الحقيقة، هؤلاء الذين زكى الله علمهم في القرآن كما ذكرنا ولهذا ابن مسعود ﷺ قال فيه عمر ﷺ كنيف ملء علمًا، **أي**: إناء ملء علما، إذا جاء تفسير ابن مسعود وابن عباس أتظن أنا سنتركه لتفسير الزمخشري؟ ولتفسير البيضاوي وتفسير الرازي وأمثالهم؟ فينبغي أن يعرف قدر الصحابة ﷺ يأتي للكلام إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ فلأجل ذلك فصل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه المسألة وأجاد الشارح إجادة عظيمة في الكلام على أن هؤلاء المسمين بعلماء الكلام أنهم في الحقيقة ليسوا علماء وذكر كلام أهل العلم في ما هم فيه من الفساد، ولهذا يضلل بعضهم بعضا، لاحظ نفس الفرق الكلامية الآن، **أي**: المعتزلة، ذكر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن عدد فرقهم عشرون، كل فرقة تكفر من التسعة عشر الباقية، إذا كفرتم أنتم بعضكم بعضا، ماذا يكون حال الأمة؟ يكفرون الأمة؛ لأن دخلوا في متاهات كبرى من التكفير والتضليل واستحلال الدماء كله بسبب هذه المقالات الفاسدة إذا الكلام ليس علما ونبه على هذه المسألة في بداية الشرح رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

بعدها تكلم عن التوحيد عند قول الطحاوي نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله أن الله واحد لا

شريك له، الشارح الحقيقة أوضح حقيقة التوحيد على أحسن ما يكون لأنه على طريقة علماء السنة أخذ من شيخه ابن كثير وشيخه ابن كثير أخذ من شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهم الله تعالى فاعتقادهم في التوحيد على أحسن ما يكون وهو الاعتقاد المأخوذ عن السلف الصالح رضي الله عنهم.

أوضح حقيقة التوحيد من خلال بيان دعوة الرسل، عندنا يا إخوة باب عظيم جدًّا وهو باب توضيح الاعتقاد بالقرآن، هذا باب نفيس جدا.

عندنا التوحيد، نقول **دلالة القرآن على التوحيد**، نبدأ ذلك بذكر أول من وقع الشرك في زمنه وهو نوح، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأعراف:٥٩]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون:٢٣]، هذه الكلمة اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قالها هود وصالح وشعيب، وذكر الآيتين الجامعتين: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، هذه حقيقة دعوة الرسل، وأن الرسل بعثت ليعبد الله وحده لا شريك له، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ**».

أوضح ابن أبي العز في هذا المقام أن أول على المكلف هو هذا التوحيد شهادة أن لا إله إلا الله وهذا أمر متواتر عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أنه إذا أتاه الآتي ليسأله عن الإسلام يلقنه شهادة أن لا إله إلا الله ثم الصلاة ثم الزكاة إلى آخره وإذا أرسل رسولاً بالإسلام لبلد أو لقوم قال «**ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ الله**»، البداية هي شهادة أن لا إله إلا الله، هنا كلمة بشهادة أن لا إله إلا الله ما معناها؟ كل أحد يدخل الإسلام يقول: لا إله إلا الله معناها أنه لا معبود حق إلا الله، هذا المعنى العظيم افترقت بالناس به الطرق، فصار أهل الضلال يفسرون كلمة التوحيد لا إله إلا الله بغير التفسير المعروف عند السلف أن معنى لا إله إلا الله لا معبود حق إلا الله تجده في كلام السلف رضي الله عنهم لأن الإله هو المعبود لغة لا إله أي لا معبود حق إلا الله عَزَّوَجَلَّ أفضل مفسر فسر كلمة التوحيد في جميع مواضع القرآن هو الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ لن تجد مفسرا أفضل منه مطلقا، ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ فسر تفسيرا عظيما هذه الكلمة لكن الطبري- سبحان الله- في كل موضع يأتي في كلمة التوحيد كأنه ما فسرها سابقا يفصل في كل مرة، تأتي في سورة غافر فكأنه لم يتكلم عنها في آية الكرسي وفي أول آل عمران: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، وفي طه وفي

غيرها كأنه يبدأ من جديد ويفصل تفصيلاً عظيماً هذه الكلمة، وأن معناها لا معبود بحق إلا الله، وهي الكلمة التي نبه عليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكان منتشرا معنى غير المعنى الذي عليه السلف، لأنهم كانوا يزعمون أن لا إله إلا الله هي إثبات الربوبية، لا، الربوبية مستقرة عندهم، بدون شك كما سيأتينا- إن شاء الله- الكفار يقرون أن الله تعالى هو ربهم بلا ريب، لكنهم كانوا يجعلون مع الله شريكا في العبادة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون:٢٣]، ليس الموضوع موضوع أقروا أن الله ربكم لأنهم يقرون أن الله ربهم: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩] .

لما ذكر موضوع أول واجب على المكلف، هذه المسألة الحقيقة أن من الأهمية بمكان أن تضبط ما أول ما أوجب الله تعالى على العباد إذا أتاك إنسان غير مسلم قال أنا أريد أن أدخل في الإسلام مباشرة هناك واجب أول يبدأ به ثم يدخل في الواجب الثاني ثم الثالث.

❍ **الواجب الأول:** بإجماع أهل السنة، لا يترددون في هذا أدنى تردد، هو لا إله إلا الله، وهو الذي كان النبي ﷺ كما قلنا يلقنه الناس ويرسل به الرسل، والصحابة رضي الله عنهم لما انتشروا في البلدان ودخل الناس في دين الله أفواجا وفتحوا البلدان علموهم الإسلام بدءا من لا إله إلا الله، جاء المتكلمون، فقالوا ليس أول واجب هو لا إله إلا الله وهذا مثل ما ذكرت لكم مخالفات المتكلمين هائلة شديدة جدا، حتى في أصل الإسلام أتوا وقالوا ليس الواجب الأول لا إله إلا الله قلنا ما الواجب الأول؟ قالوا الواجب الأول النظر، وماذا تريدون بالنظر؟ قالوا النظر الكلامي، طيب أتانا شخص وأراد الدخول في الإسلام فقلنا له إشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وعرفناه معناها وذكرنا له معاني الإسلام وأركانه فلما أتت صلاة الظهر صلى معنا العصر صلى معنا هذا مسلم أو غير مسلم قالوا لا ليس بمسلم، كيف ليس بمسلم؟ قال بل أنتم حين تقولون لا إله إلا الله ولا تؤسسونها على النظر الكلامي فإنكم لستم بمسلمين، ودخل تكفير أخبث من تكفير الخوارج، وهو تكفير من؟ عموم الأمة كيف أتى هذا أتى من أعداء الله المعتزلة؟ لأن المعتزلة قالوا أول واجب على المكلف هو النظر، وبعضهم يتفلسف يقول هو القصد إلى النظر، **أي**: ليس بالنظر لكن أنت تقصد أن تنظر، **أي**: انظر إلى السماء وتأمل خلقة الله عزوجل كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا﴾ [يونس:١٠١] قال لا لا ليس هذا النظر هذا نظر في نظرهم ساذج، النظر هو

المؤسس على النظر الكلامي، أنه لا يمكن إثبات الصانع كما يعبرون عن الله عَزَّوَجَلَّ، لا يمكن إثبات رسالة الرسول حتى يثبت الصانع ولا يثبت الصانع بدليل الفطرة أو بدليل الرسل لا ولا يثبت الصانع إلا ببيان أن العالم حادث، وكيف أثبت أن العالم حادث؟ أن العالم لا يخلو من الحوادث، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث طيب متى ندخل في الإسلام؟ عندهم ثلاثة عشر خلافا في هذه المسألة، يضلل بعضهم بعضا، أنتم الآن مختلفون أنتم أصلا في النظر، ويكفر بعضكم بعضا بالنظر فلو كان الدين على ما ذكرتم لكان دين الإسلام أبعد شيء عن الحنيفية السمحاء، دين الإسلام ولله الحمد واضح المعالم وتواتر تواتراً يعسر استقصاءه. عن النبي ﷺ أن من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأقام الصلاة وأتى الزكاة إلى آخره أنه إذا لقي الله بهذا أنه يكون من أهل الجنة، ولهذا شهد ﷺ لرجل أتى وسأل عن دينه فقال: «**تَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ**» إلى آخره، فلما ولى الرجل مات.

مات أكثر من شخص وهو لم يصل لله سجدة؛ **أي**: لم يبدأ أصلا بالصلاة.

إن أحدهم كان على بعيره، فدخلت يد البعير في ما يسمى: بشبكة الجرذان في البرية، فعثر البعير فسقط الرجل عنه؛ فدقت رقبته فمات، فشهد له النبي ﷺ بالجنة.

أين النظر؟ أين كلام عمرو بن عبيد والعلاف والمعتزلة أين هو؟ وقال ﷺ لرجل أتاه كما في «مسلم» **جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرُ الرَّأْسِ، نَسْمَعُ دَوِيَّ صَوْتِهِ، وَلَا نَفْقَهُ مَا يَقُولُ حَتَّى دَنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ، وَاللَّيْلَةِ» فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُنَّ؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ، وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ»، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ فَقَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ»، وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الزَّكَاةَ، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ»، قَالَ: فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللهِ، لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا، وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ»**، كيف يشهد النبي ﷺ له بالجنة وأنت تقول له ما يمكن أن ينجو حتى يحقق ما سموه الواجب الأول، أي واجب أول قبل الشهادتين قالوا: هو النظر، النظر الكلامي بالطريقة هذه المعقدة الفوضوية التي تلقوها في أصولها عن فلاسفة اليونان، يبنى دين الله على فلاسفة اليونان الذين هم أجهل الناس بالله، سقراط مثلا هذا الفيلسوف الذي كان يمارس السحر عند ملك اليونان تتلقون من موازينه كيف يعرف رب العالمين ثم تسكبون في دين الله

عَزَّوَجَلَّ وتقولون هذا أول واجب!!

تلقيتم هذا من أين ما سميتموه بالنظر ثم من قال لك إن الصحابة لا ينظرون هذه الآيات ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ﴾ [يونس:١٠١] عطلها الصحابة حتى أتيتم أنتم ونظرتم هذا النظر ابتداع، وإلا النظر الذي كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كما في مسلم «**وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ**» عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ وقال مرة: «**النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ**»، هذه سنة الحقيقة يقل من يطبقها في عند قيام الليل، والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كما في مسلم «**وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ**»، تستطيع أن تنظر أنت لو من الشباك ويقرأ الآيات ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ**﴾ [البقرة:١٦٤]، هذا النظر هذا التأمل في آيات الله عَزَّوَجَلَّ، قال لك لا ليس هذا هو النظر، ما الذي سترتبونه؟ قالوا: من لم ينظر بالطرق التي طرقناها والحدود التي حددناها فليس بمسلم، فكفروا عامة المسلمين.

وهذا للأسف هو الذي عليه جمهور الأشاعرة، وبعضهم يقول لك لا، نقول جمهوركم على هذا شئتم أم أبيتم وإذا أردت أن تعرف أن هذا هو قول جمهور الأشاعرة فاذهب وانظر في أم البراهين للسنوسي، حين يحكي هذا عن أبي الحسن وعن الباقلائي وغيره، ويقول هو قول الجمهور، **أي**: جمهور المتكلمين، على أن من لم يقر لله عَزَّوَجَلَّ بالطرق التي طرقوها أنه ليس بمسلم، ولهذا الدسوقي لما شرح قول السنوسي بأن النظر شرط في الإيمان، قال أي أنه إذا لم ينظر ومات يخلد في النار، **أي**: يكون كافر هذا المعنى، ولهذا أنكر الحقيقة هذا الكلام قطعا شيخ الإسلام ابن تيمية وعلماء السلف الجميع ينكر هذا لكن الحقيقة أنه أنكره حتى بعض المنتمين للمذهب الأشعري، وقالوا هذا كلام خطير جدًّا مع أنه كلام الجمهور، كلام جمهورهم، **أي**: ابن حجر، النووي رحمهم الله أنكروا هذا أمر عظيم جدًّا يقال هذا يؤدي إلى تكفير الأمة كذلك القرطبي المفسر والقرطبي المحدث كلهم أنكروه؛ لكن جمهور المتكلمين منهم، دائما هذه المذاهب أيها الإخوة فيها مؤثرون، المؤثر في المذهب الأشعري وأمثاله مثل: الإيجي مثل الجويني الرازي، البيضاوي، يأتي أناس من هؤلاء عندهم عناية بالحديث كالحافظ ابن حجر والحافظ النووي لا تأثير لهم؛ لأن الكتب العقدية التي تدرس ليست كتب هؤلاء،

هؤلاء لهم جهود في الفقه في الحديث وشروحه فلم يؤثروا في نفس المذهب، هذا المذهب للأسف هو الذي كان عليه أبو الحسن الأشعري، ولم يتب منه عفا الله عنه إلا على فراش الموت، والحمد لله أنه تاب منه، بسند صحيح كما في سنن البيهقي، وذكر صحة السند الذهبي، أنه أرسل إلى زاهر السرخسي قال أشهد علي، نسأل الله حسن الختام، عاد عن تكفير العامة على فراش الموت، طيب ويش معناه؟ الكتب التي ألفت، مؤسسة على أن العامة كفار ولهذا موضوع أول واجب خطير للغاية، إذا قيل: إن أول واجب ليس الشهادتين فمعنى ذلك أن من تشهد الشهادتين ليس بمسلم.

ولهذا السمعاني أبو المظفر رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب كتاب الانتصار لأهل الحديث تكلم كلاماً عظيماً حول هذه المسألة فقال: إن كان النظر هو أول واجب فهذا يستدعي أن الصحابة والتابعين ما عرفوا هذا الواجب الأول، وإن كان النظر هو أول واجب فمعنى ذلك أن عامة المسلمين كفار، قال فإذا كفر العامة وهم السواد الأعظم فهذا طي بساط الإسلام كله،وإلحاق هذه الدار بدار الكفر ما عاد صار في فرق، أكثر الأمة عامة، الآن ولا زمن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ زمن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزمن الصحابة وزمن التابعين إلى قيام الساعة أكثر الأمة عامة العلماء دائما مبرزون العلماء الذين عندهم الفتوى دائما هم مبرزون ولهذا لماذا سموا بالعامة؟ لأنهم الأكثر هم العموم فإذا انفرد أحد بالعلم صار من الخاصة صار هذا عرف العلم وإلا عموم الأمة كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ**»، الأمة أكثرها أمية، وإن كنت رأى من يكتب ويحسب لكن انظر إلى الأمة فيما سبق وفيما يأتي، عموم الأمة أمية، فكيف يقال إنه لا بُدَّ من أن يعرف تقريرات عبد الجبار الهمداني، أو أبي علي الجبائي، **أي**: عندك عياذاً بالله نسأل الله العافية.

أبو علي الجبائي ذكر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن أبا علي الجبائي هذا الأب وابنه أبو هاشم، يقول أبو هاشم له تلاميذ، وأبو علي له تلاميذ، تلاميذ أبي علي يكفرون ابنه أبا هاشم، تلاميذ أبي هاشم يكفرون أباه أبا علي، كيف دائرة التكفير في المعتزلة؟ بسبب ماذا؟ الواجب الأول، أنت أخطأت، لم تقرر التقرير الصحيح، تقريرك خاطئ، عقلك يرده بهذه الطريقة صاروا يكفرون بعضهم بعضا فضلا عن الأمة، لأجل ذلك ركز رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أن الأول واجب هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله لا النظر ولا القصد إلى النظر كما هي مقالات أهل الكلام الباطل.

بعد ذلك تكلم الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أنواع التوحيد وأنه ثلاثة، وأوضح أن الربوبية أقر بها الكفار ودلالة القرآن على أن الكفار أقروا بالربوبية جلية، في عدد من الآيات كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ

خَلَقَهُمْ﴾ [الزخرف:٨٧]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [العنكبوت:٦١]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ [العنكبوت:٦٣]، جواب واحد ليقولن الله، وقال الله تعالى في سورة يونس في الآية الجامعة العظيمة: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [يونس:٣١]، فهم يعتقدون أن تدبير الأمر كله سبحان الله العظيم من سورة يونس في أولها يدبر الأمر، في أولها تقريرا ثم سئلوا عنه ومن يدبر الأمر فسيقولون الله، هذا يدل على أنهم مقرون بالربوبية قطعا دون أدنى تردد إذا لما صاروا كفار؟ صاروا كفار لأنهم من الاسم مشركون، المشرك ماذا يفعل؟ لا يفرد، يجعل مع الله غيره شراكة، مما أدت شراكة، فيجعل مع الله شريكًا طريقتهم أنهم يجعلون مع الله شريكا في العبادة، فيجعلون لله نصيبا من العبادة ويجعلون لمعبوداتهم نصيبا من العبادة، فهذه طريقتهم هذا لله وهذا لشركائنا هذه طريقتهم فلذلك صاروا مشركين، إذا هم يقرون بأن الله ربهم، لماذا ما داموا يقرون أن الله تعالى هو ربهم؟ لماذا يجعلون معه شريكا؟ نص القرآن على أنهم يطلبون منهم الشفاعة: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [يونس:١٨]، هم يريدون الشفاعة، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [يونس:١٨] .

- **المقصد الأول:** طلب الشفاعة.

- **المقصد الثاني:** طلب الزلفى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ﴾ [الزمر:٣] .

يقول الطبري والبغوي: **أي**: والذين اتخذوا من دونه أولياء يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا، إذا هم يريدون المنزلة، يقول النبي الأنبياء الملائكة الصالحون لهم جاه ولهم منزلة عند الله فنحن نأتي إلى هؤلاء ونصرف لهم هذه العبادات من دعاء أو ذبح ولأن لهم مكانة عند الله فإنهم يقربونا إلى الله زلفى أو يشفعون كما في الآية الأخرى وهذا هو المقصد الذي عليه المشركون منذ قديم الدهر إلى يومك هذا وهم يطلبون الشفاعة ويطلبون أن يقول هؤلاء لهم تارة يعبرون يقول له جاه له منزلة أي أسلوب من أساليب تعبير المشركين هو واحد أنهم يطلبون منهم أن يقربوهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ ويطلبون منهم وهم

يطلبون منهم الشفاعة، إذا عرفت أن الكفار يقرون بالربوبية ويشركون في العبادة اتضح لك أن من فسر لا إله إلا الله بغير أنه لا معبود حق إلا الله أنه لم يفهم الحقيقة دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام لأنه يظن أن الرسل أتت لتقرر هؤلاء المشركين بأن الله ربهم هم يقرون أن الله تعالى ربهم فلا يحتاجون أن يقال لهم أيقنوا أن الله ربكم لأنهم يقرون أن الله ربهم، ولهذا الذين أرادوا قتل صالح أقسموا بمن؟ أقسموا بالله، ﴿قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾ [النمل:٤٩]، يقسمون بالله وكان مشركو قريش يحجون بل كانوا يخلصون لله تعالى إخلاصا إذا جاءت الشدة، ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ [العنكبوت:٦٥]، هذا لفظ شرعي الإخلاص، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥]، فهم يخلصون ولا يدعون إلا الله، ولذا قال قتادة كانوا يحملون الأصنام كما ذكر البغوي، يحملون الأصنام معهم في السفينة، فإذا هاجت السفينة رموا الأصنام في البحر، وقالوا يا الله يا الله، يقرون أن الله تعالى هو الذي بيده الأمر- سبحانه وتعالى- هذه الحقيقة التي هي كالشمس في القرآن في حقيقة دعوة الرسل وفي الشرك الذي وقع من المشركين جهله من جهله وصار يقول إن من يفعل ما يفعله المشركون الآن عند القبور وغيرها من الذبح لغير الله أو دعاء غير الله يقول لك هذا ليس بشرك، لماذا ليس بشرك؟ قال لأن هؤلاء مستقر عندهم أن الله تعالى هو الذي عنده تدبير الأمر سبحانه وبحمده.

فهؤلاء وإن فعلوا مثل هذه الأمور من ذبح ودعاء يقول هذا غلط مو بصحيح فعلهم لكنهم لا يكونون به مشركين، لماذا؟ لأنه مستقر عندهم أن الله هو الذي عنده الخلق والأمر والتدبير، أليس مشركو قريش بنص القرآن يقرون أن الله تعالى هو الذي يدبر الأمر؟ أليسوا يقرون أن الخلق والرزق والإحياء والإماتة عند الله؟ كيف تقول الآن إن هؤلاء يختلفون بسبب أنهم لا يعتقدون التأثير، التأثير هو التدبير نفسه هو التدبير، ولأن هذه فتنة الحقيقة من الفتن الكبيرة جدا، فبدلا من أن يعالج في أمة محمد ﷺ هذه الضلالة العظيمة من الشرك الذي يكون عند القبور وعند غيرها، صار يبرر لهؤلاء ويسهل من أمرهم فبدلا من أن يعالج الشرك صار الشرك يبحث له عن المخارج، بل صار الذي يريد أن يعالج الشرك في نظر هؤلاء الزائغين من غلاة المرجئة في نظرهم هو الخارجي الذي يكفر المسلمين فبدلا من أن تنقذوا هؤلاء الغرقى الذين يصرفون العبادة لغير الله عزوجل من ذبح ودعاء، بل إنهم إذا جاءت الشدائد فالمشركون بنص القرآن إذا جاءت الشدائد أخلصوا، كما في آية العنكبوت، ﴿فَإِذَا

﴿رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت:٦٥]، هم في الشدائد يشركون ويشتد شركهم، الإشكال عميق جدًّا في عدم فهم التوحيد؛ لأن من لم يفهم التوحيد لن يفهم الشرك وسيقع الشرك بين عينيه وهو لا يدري ما يرى أن هذا شرك، إذا قال إن لا إله إلا الله معناها الإقرار بأن الله هو الرب، وأنه هو الخالق فما معنى ذلك معنى ذلك أنه سيقع دعاء غير الله والذبح لغير الله وهو يتفرج، ولا يحرك فيه ساكنًا، ويقول هؤلاء وإن أخطأوا، بعضهم يقول خطأ هذا الفعل؛ لكن القول بأنهم مشركون ليس بصحيح لماذا؟ لأن هؤلاء يقرون أن الله ربهم، والله لقد جهلتم ما علمه من صبيان السلف الصالح رضي الله عنهم،- سبحان الله- العظيم، نص القرآن على أنهم يقولون إن الله هو المدبر وإنه هو الرازق وإنه هو الخالق وأنهم إنما يطلبون ما يطلبه المشركون عند القبور، فيقول لك هذا الولي له جاه في نفسه ليقربونا، يقول لك ليشفع عندي أنا أطلب منه الشفاعة ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨]، ولهذا يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٢] ؛ أي: بالقرآن، أعظم الجهاد الجهاد بالقرآن لأن فيه البيان فيه إحقاق الحق من الباطل بين الحلال المحض من الحرام المحض فيه بيان الشرك من التوحيد، بيان السنة من البدعة، فلأجل ذلك لا بُدَّ من بيان هذه المسائل من القرآن، وتوضيح هذه المسائل من القرآن، والشارح رحمة الله تعالى عليه أجاد إجادة عظيمة في هذا الباب وفصل أمر توحيد الربوبية وأن المشركين مقرون به.

وأيضًا فصل في موضوع الربوبية فصل في مسألة وهي الرد على الزنادقة والملاحدة ممن لا يقر بوجود الرب- سبحانه وتعالى- وبين الدلائل العظيمة على وجوده سبحانه وبحمده ففي باب الربوبية يتحدث مع الملاحدة والدهرية النافون لوجود الله أما مع أهل الشرك الشرك من اسمه الشرك قد جعل لله نصيبا وجعل للمعبود نصيبا، هو يقر بالله قطع، ولأجل ذلك أتوا إلى الحرث والأنعام، وجعلوا لله تعالى فيها نصيبا ولمعبوداتهم فيها نصيبا، ﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ [الأنعام:١٣٦]، فالمشرك مقر بالله قطعا، فقولهم أن هؤلاء الذين ينصرفون العبادات لأهل القبور، إنهم يقرون أن الله هو ربهم وأن هؤلاء من الأولياء والأنبياء أنهم مخلوقون من خلق الله ومعهم يقر نفس الوضع يقرر كفار قريش بنفس الأمر، ولهذا عندنا قاعدة في العقيدة اضبطها من لم يفهم الإيمان لن يفهم الكفر مطلقا، إذا

ما عرفت حقيقة الإيمان لن تفهم حقيقة الكفر، ومن لم يفهم التوحيد لن يفهم الشرك، يدلك على هذا أن الشرك يقع وهم ينظرون ولا يعرفون أنه شرك أو يقولون هو خطأ لكنه معصية من المعاصي، بسبب أنه ما عرف الشرك لا بسبب ما عرف التوحيد لأنه إذا عرف أن التوحيد، لا إله إلا الله أنه لا معبود بحق إلا الله فلا يصرف أي عبادة من ذبح أو دعاء أو نذر أو غيره إلا لله فهنا الشرك مباشرة، فالحاصل أن مثل هذه المسائل أجاد فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

تكلم الشارح عن أول سبب أوقع الناس في الشرك وهو أن قوم نوح غلوا في الصالحين الخمسة المذكورين في قوله تعالى ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ [نوح:٢٤]، قال ابن عباس كما في البخاري: «**أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ**»، لأنهم موحدون ما عبدوها، «**حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ**»، فهذا هو السبب الأول في وقوع الشرك.

من المواضع النفيسة في تفسير الطبري تفسيره لآية سورة يوسف الآية السادسة بعد المائة ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦]، هذا الموضع بين فيه الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ المراد بجمع الإيمان مع الشرك، يؤمنون ويشركون في نفس الوقت، وروى عن ثمانية من السلف ابن عباس قتادة مجاهد ابن زيد، وغيرهم أن الشرك المقصود شركهم في العبادة والإيمان المقصود إيمانهم بالربوبية **ولهذا قال ابن عباس**: «إذا قيل له من خلق السماء من خلق الأرض من خلق الجبال قالوا الله وهم مشركون»، **وقال قتادة**: «لست تلقى أحدًا منهم ألا أخبرك أن الله ربه وهو يشرك في عبادته» هذا معنى الإيمان: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦]، فهم يؤمنون لكن على شرك، فيشركون في العبادة وشرك العبادة بأن يصرف لغير الله تعالى نصيبا من العبادات قولية فعليه أيا كان فيكون بذلك والعياذ بالله مشرك.

أورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأجاد النصوص المحذرة من الغلو في القبور، كقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا.

والأحاديث في التحذير من القبور والغلو فيها قالها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأيام الأخيرة من حياته، مع أنه

كان يحذر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في مرض وفاته، مع أنه كان سابقا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يحذر ويؤكد على الخطر من الغلو في القبور، ولهذا في حديث علي لما أرسل أبا الهياج الأسدي قال: **أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ** ﷺ ؟ «**أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ**».

لو تنظر إلى الأحاديث، حديث جرير قبل موته بخمس ليال: خرج ﷺ وهو عاصب رأسه، وخطب فيهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أَلَا وَإِنَّ مَن كَانَ قَبْلَكُم كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِم وَصَالِحِيهِم مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنْهَاكُم عَنْ ذَلِكَ**»، قبل أن يموت بخمس ليال، في مرض موته قال لأسامة -كما في المسند بسند صحيح-: «**أَدْخِلْ عَلَيَّ أَصْحَابِي**»، أصحابه أعظم الناس توحيدا على وجه الأرض فلما أدخلهم حذرهم من الغلو في القبر.

ولما توفي ﷺ وهو في النزع -كما في حديث عائشة، وابن عباس رضي الله عنهم- قال وهو في السياق، **أي**: يموت عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى اليَهُودِ، وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» **يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، قَالَتْ عَائِشَةُ**: «**لَوْلاَ ذَلِكَ لَأُبْرِزَ قَبْرُهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا**»، أرأيت الاعتقاد الصحيح؟ هو المؤسس على التوحيد والتحذير من الشرك الذي استمر ﷺ يؤكد عليه حتى وهو يموت صلوات الله وسلامه عليه، فإذا جاءك من يهون من مثل هذه المسائل ويقول أمرها يسير أو لا تفرقون الناس بها، اتركوا الناس في اعتقاداتهم، هذا فاسد العقيدة حقًا وصاحب المنهج المنحرف في الاعتقاد، حين يأتي إلى ما عظم الله من أمره من التوحيد فيهون من شأنه، وفيما اشتد تحذير النصوص منه من الشرك فيسهل من أمره النبي ﷺ يظل صلوات الله وسلامه عليه في الأيام الأخيرة من حياته يؤكد على هذه المسألة ويموت ﷺ وهو في السياق؛ **أي**: في سياق الموت يحذر منها ثم يأتي من يسهل من أمرها، إذا أنت على خلاف منهج رسول الله ﷺ ، بعد الراحة -إن شاء الله تعالى- نُتِمُّ بدءًا من قول الطحاوي: «**ولا شيء مثله**».

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).

---

(١) نهاية الدرس الأول.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ:

تكلم الشارح- رَحِمَهُ ٱللَّهُ- تعالى عند قول الماتن: «**وَلَاشَيْءَ مِثْلُهُ**»، عن هذه المسألة من مسائل الأسماء والصفات وهي مأخوذة من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] .

ناقش الشارح- رَحِمَهُ ٱللَّهُ- تعالى منكري الصفات من المعطلة، من جهمية ومعتزلة وأشعرية وماتريدية وغيرهم، وبيَّن أنَّ الحق الذي عليه السلف الصالح رضي الله عنهم هو إثبات ما أثبت الله لنفسه ونفي ما نفى عن نفسه، وكذلك إثبات ما أثبته الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونفي ما نفاه الرسول صلوات الله وسلامه عليه وهذا الذي كان عليه أهل الإسلام لا يترددون في ذلك، حتى جاء عدو الله الجعد بن درهم، وهو شيخ الجهم بن صفوان، تسمع كثيرًا من اسم الجهمية، الجهمية نسبة إلى الجهم بن صفوان، الجهم بن صفوان أخذ عن شيخ خبيث يُدعى الجعد بن درهم وكان هناك فرقة تسمى الجعدية هذه الفرقة الجعدية منها الجهم بن صفوان فاشتهر التلميذ أكثر من شيخه فصارت تنسب إليه هذه المقالة وهي نفي الصفات عياذاً بالله وتظاهر بهذا واشتهر هذا عنه وصار من ينفي الصفات ينسب إليه، فصار السلف كلما أتى شخص وأنكر صفة قالوا: هذا جَهْمِيٌّ، وقد لا يكون على نفس ما عليه الجهم من الاعتقاد؛ لأن الجهمية ثلاث درجات نقولها باختصار:

- **الدرجة الأولى:** الجهمية الغلاة وهم أصحاب الجهم بن صفوان وهم الذين ينكرون جميع الأسماء وجميع الصفات.

- **الدرجة الثانية:** درجة الجهمية المعتزلة لأن المعتزلة وإن كانوا خصوماً للجهم في القدر إلا أنهم على قوله في نفي الصفات، فهم ينفون الصفات ويزعمون أنهم يثبتون الأسماء.

- **الدرجة الثالثة:** من سماهم أهل العلم بفروع الجهمية، فهم فروع للجهمية مبدأهم من ابن كلاب الذي حذر منه أئمة السنة الكبار كالإمام أحمد وغيره، وهؤلاء أثبتوا الصفات الذاتية ونفوا الاختيارية، فأراد بزعمه أن يتوسط بين قول السلف وبين قول الجهمية، ومنه تفرعت مقالة الأشعرية والماتريدية؛ ولهذا

يرى الأشاعرة أن ابن كلاب شيخ من شيوخ المذهب، هو الواقع لأن هذه المقالة أتت إلى أبي الحسن من ابن كلاب، ابن كلاب أفضل عقيدة من الأشاعرة المعاصرين بمرات ومراحل فإذا رأيت موقف السلف من ابن كلاب مع أنه أفضل عقيدة منهم لكنه كان ينفي الصفات الاختيارية عرفت موقع مثل الأشعرية المعاصرين بالنسبة للسلف فلا شك في أن عندهم مخالفات عظيمة في هذا الباب، ومن أسف أنه استقر عند كثير من الناس الآن المذهب الأشعري والمذهب الماتريدي، وزادوا بأن زعموا أنهم هم أهل السنة، مع أن من المعلوم المتقرر أن أهل السنة رأسهم رسول الله ﷺ قطعا وأصحابه ﷺ والسنة نسبة إلى سنة الرسول ﷺ.

المتكلمون تقدم أن السلف يضللونهم ولا يرونهم من أهل العلم أصلا، فصار هؤلاء يزعمون أنهم هم أهل السنة ويخرجون السالكين على مذهب أهل السنة السلوك الصحيح، ويقولون أنتم لستم أهل السنة، وإنما أهل السنة نحن من القائلين بمقالات المتكلمين، فقُلبت الحقيقة حقائق كثيرة جدًّا في أبواب الاعتقاد تماما مثل ما أنه قلب أمر التوحيد، فصار الداعي إلى التوحيد مُبغَضًّا عند عامة الناس، والداعي إلى الشرك هو الذي يحب الأولياء ويحب الصالحين، فالحقيقة أنها انقلبت مفاهيم كثيرة في الناس، وهو مصداق لقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ**».

ولكن- سبحان الله- لما ذكر الله الحق والباطل ذكر كلمة شديدة فقال: ﴿بَلْ نَقْذِفُ﴾ [الأنبياء:١٨] كلمة قوية جدًّا ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ [الأنبياء:١٨]، ثم قال ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ [الأنبياء:١٨]، الدمغ قالوا: هو أن يضرب الرجل الرجل ضربة تصل إلى دماغه، فإذا وصلت إلى الدماغ هلك، ثم قال ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء:١٨]، فسبحان الله إذا حمل هذا الحق أحد وعرضه في الأمة فإن ذوي الفطرة السوية يقبلونه؛ لأن دلالاته كالشمس والباطل كما قال تعالى: ﴿زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء:١٨] يضعُف، إذا قيل مثلا دائما عندنا مسألة يا إخوة في الاعتقاد مهمة جدًّا جدا اضبطها تعرف بها الحق من الباطل، قال لك هذه عقيدة كذا، اربطها لي بالسلف، من إمامك في هذه المسألة؟ ولهذا ماذا قال الأئمة العلماء؟ إياك ومسألة ليس لك فيها إمام، أي: أنت ابتدعتها فإن قلت إنها من الحق ومن الخير فالأمة لم تضع حتى ولدتك أمك، لتدلها على الحق، فالحق كما قال عمر: ﷺ فإن الحق قديم، الحق قديم ولله الحمد في القرآن وفي السنة وفي كلام السلف الصالح والله أنزل ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران:١١٠]، الخيرية الآن الموجودة في الأمة كلها تبع لخيرية

الصحابة، الآية لما نزلت من كان هناك؟ الصحابة فقط، ما كان هناك إلا إسلام وكفر، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران:١١٠] وُجهت للصحابة، فالخيرية هذه في ماذا؟ في العلم في الدين في العبادة، في كل مسلك، فالخيرية التي تكون في الأمة هي تابعة لما كان عليه السلف الصالح؛ ولهذا قال ﷺ: «**وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا**» وقال ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» تأمل بقية الأحاديث والروايات «**ثُمَّ يَفْشُو الكَذِبُ**» «**ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**»، فيكون الذم للمتأخرين ولهذا وردت كلمة آخر الزمان تأملها في النصوص، آخر الزمان أدخلها في الحديث، وانظر كيف يخبر النبي ﷺ بالذي يكون في آخر الزمان، آخر الزمان يكون فيه الاختلاف الشديد يكون فيه الفرقة يكون فيه التبدل، فلهذا اضبط عقيدتك بما كان عليه رسول الله ﷺ ؛ لأن ما سوى هو الضلال المبين، ﴿**لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ**﴾ [آل عمران:١٦٤] أي: خروج عنه يعيدك للضلال المبين؛ ولهذا سبحان الله العظيم موضوع الضلال المبين كل فرقة خرجت عن هدي رسول الله ﷺ تستطيع بسهولة أن تربطها بالضلال المبين، فالمتكلمون تربطهم بفلاسفة اليونان، جملة غير قليلة من ترهات الصوفية موجودة عند الديانات الشرقية في الهند وغيرها، نفس الطقوس حتى عندهم شيء يسمونه حبس النفَس، يحبس النفس فترة، وكذلك التجويع الشديد للبدن، أي: لا يأكل إلا شيئا يسيرا جدًّا حتى يكاد يموت، تفتح كتب الملل والنحل تجد هذا عند الهنود، الهنود أصحاب الديانات الشرقية وعند البوذيين يذكرون بوذا كيف أنه كان تدرج تدرجا حتى صار لا يأكل إلا حبة أرز في اليوم مثلا، يقول لك لأن في فلسفة هذه المسألة بعض الناس ما يقول لك الروح مسجونة في الجسد، والجسد بمثابة أبواب السجن فبقدر ما تعذب الجسد بقدر ما تنفتح أبواب السجن للروح! مسألة فلسفية محضة لكنها عند فلاسفة أهل الديانات الشرقية؟ ولهذا انظر التعذيب الشديد للبدن عندهم المتصوفة وغيرهم، فكلما خرجت عن هدي رسول الله ﷺ أوقعك في ظلال مبين.

ولهذا النبي عليه الصلاة والسلام نفى أن يكون في هذا الدين رهبانية مع أن الرهبانية وجدت عند النصارى والنصارى أمة لها رسول سابق ومع ذلك أبى ﷺ الرهبانية فإذا امتنعنا- بحمد الله- بهذا الدين الكامل الذي قال الله تعالى وتأمل الآية العظيمة، اليوم ﴿**أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ [المائدة:٣]، الإكمال هذا

العظيم ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، ﴿وَرَضِيتُ﴾ [المائدة:٣] سبحان الله العظيم عبارات عظيمة جدًّا جدا توضح لك كون هذا الدين- بحمد الله- غير محتاج بتاتا لأي زيادة؛ لأن الذي أكمله هو العليم الخبير، إذا الزم غرزه استمسك به غاية الاستمساك؛ ولهذا قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»، ما هي النواجذ؟ الأضراس، ما الذي تعض عليه بالضرس؟ الذي تخاف أن يذهب لأنه قد تعض على الشيء بأطراف أسنانك، لكن إذا عرضت بالضرس هذا تعض على الشيء الذي إن فات هلكت «**عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**» استمساك شديد بهديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهدي الخلفاء الراشدين المهديين من بعده؛ ولهذا تقدم حديث مسلم «**وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ**»، أتى ما توعد من الفتن والبلايا.

فالحاصل أن هذه البلايا التي نشأت في أمر تغيير الاعتقاد في الصفات؛ ولهذا يقول شيخ الإسلام كلمة عظيمة وجليلة يقول: ألا رجل يتعقل ألا متدبر يتدبر.

أصحاب الأشعري ماذا يقولون؟ يقولون هذا اعتقادنا وهذا اعتقاد السلف، صريح يقول اعتقادنا غير اعتقاد السلف؛ ولهذا تجد هذا في مسائل تفشو وتتضح مثل مسألة الإيمان، مسألة الإيمان انتقدوا فيها السلف انتقادا صريحا بأسمائهم، فقالوا هذا قول مالك، والشافعي وعليه فقهاء الحديث وهو قول السلف وهو قول مبتدَع، هكذا يقول سبحان الله العظيم، وهو قول الحشْوية، وعليه إشكال ظاهر، عبارات مثل هذه. هذه عباراتهم تذكر الآمدي والنسفي والحكيم الترمذي وأمثالهم من الماتريدية ومن الأشعرية معا.

مسألة الإيمان مسألة عظيمة جدًّا إيمان قول وعمل هذه مسألة فيها مفاصلة ممايزة، يترتب عليها حقيقة الكفر، فلما أتوا إلى هذا انتقدوا السلف بأسمائهم مالك والشافعي انتقدوه بالاسم، مع أن المعتاد عنهم أنهم يجلون مالكا بل ينتسبون لمالك مثلا مجموعة من الأشعرية يقولون نحن على مذهب مالك، كذلك مجموعة من الأشعرية طبعا يقولون نحن على مذهب الشافعي، لما جاءت هذه المسألة انتقدوا مالكا بالاسم، وانتقدوا الشافعي بالاسم؛ لأن مسألة العقيدة مسألة فيها ممايزة، أما إذا جئنا إلى كتاب الطهارة وكتاب الصلاة وكتاب الشفعة وكتاب الحج وغيرها، تجد التعصب لقول الإمام في مسائل الفقه، فإذا جاءت مسائل أصول الدين الكبار خالفوهم هذه المخالفة الصريحة؛ ولهذا يا إخوة والله لا يحيط إلا الله بما في بطون كتب هؤلاء القوم، الآمدي النسفي الحكيم الترمذي بلايا بلايا كبيرة جدا، فيها صريح ذم قول السلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، في باب الإيمان في باب الأسماء والصفات في عدة أبواب، مع أنهم في الجملة يثنون على

السلف وعلى الصحابة وعلى التابعين لكن تأتي مسائل يصرحون فيها بتخطئة السلف.

بِناءً عليه نعرف أن الاعتقاد الحق هو ما عليه الصحابة والتابعون وأن هذه الإشكالات التي وقعت إنما قلنا إنها من أهل الانحراف إما من أهل الكلام أو من أهل التصوف قطعا توجد انحرافات مثل الخوارج وأضرابهم، انحرافات الخوارج تتميز بأنها انحرافات في عمومها ليست انحرافات، الخوارج ليسوا أصحاب قلم، الخوارج قديما أصحاب سيف ما عنده وقت يكتب يرفع السيف على الأمة ويقاتل ولهذا كان معظم مقالات الخوارج الأوائل تجدها ينقلها غيرهم عنهم ما حرروا كتباً هم حتى جاء الخوارج المتأخرون وفلسفوها وزعموا أنهم أيضًا على الحق، كل أحد يدعي أنه هو صاحب الحق، كل فرقة تدعي أنها هي المقصودة بالفرقة الناجية، لكن الأمر في الفرقة الناجية موضح ولله الحمد بقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما سئل عنها قال: «**الْجَمَاعَةُ**»، «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**» هم الذين على الهدى الذي هدى الله به محمدا ﷺ هو الذي يهدي به، ولذا قال مالك- رَحِمَهُ ٱللَّهُ- كلمته الشهيرة: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، هذه الأمة قبل محمد ﷺ في ضلال مبين فأصلح الله الأمة بمحمد ﷺ ، كل أحد يريد أن يزيل هذا الأمر من أمة محمد ﷺ بأي اسم يسميه لا شك أنه ضال.

ولهذا- سبحان الله-!! انظر أحاديث النبي ﷺ الذي اعتنى بها من؟ هل اعتنى بها المعتزلة اعتنى بها الجهمية؟ ما يعتني بها إلا أهل السنة الحقيقيون، ولا تظن الآن أن الاعتناء بالسنة وحتى لو حفظت السنة بأسانيدها أنها الآن مثل السابق، قديمًا حفظ السنة ماذا يعني؟ **أي**: الرحلة في طلب الحديث فتذهب إلى بغداد إلى البصرة إلى الكوفة إلى الحجاز إلى مصر إلى الشام تتبع الحديث الذي اعتنى به هذا من؟ هم أئمة الإسلام؟ الكبار ولهذا سبحان الله أبقى الله ذكرهم، تظن أنه يمر يوم في الدنيا ما يقال رواه البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أبقى الله هؤلاء رحمهم الله.

تكلم الشارح بعد ذلك عن قول الطحاوي «**قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ**» وهو أول موضع انتقده الشارح على الطحاوي، وبين أن الاسم الصحيح الذي ورد في النصوص هو اسم «الأول»، كما هو في القرآن وكما هو في السنة، أما اسم القديم فليس من أسماء الله، فاستدرك عليه إطلاقه على الله تعالى أنه قديم، والذي ينبغي أن يسمى الله بما سمى به نفسه وبما سماه به رسوله ﷺ ، وهو الوارد في القرآن ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ

﴿وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣]، وفسره ﷺ بنفسه في صحيح مسلم، «**اللهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ**»، ووضح إشكال إطلاق القديم؛ لأن القديم يكون مسبوقا بقبله، ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ﴾ [الشعراء:٧٦]، لاحظوا القديم قبله، آباؤنا الأقدم ومن قبلهم؟ أقدمون، قال: فالله يسمى بالأول؛ لأن الأول واضح وفسره ﷺ «**اللهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ**»، أما القديم قبله، فلهذا يُلتزم تسمية الله بما سمى به نفسه، لا شك أن كل مسلم يطلق على الله القديم أنه يقصد به معنى الأول، ما في مسلم يطلق القديم أنه يريد هذا يقينا، حتى المعتزلة، لا يقصد أن قبل الله أي شيء، لا، لكنهم أطلقوا على الله القديم، وتركوا الاسم الذي ينبغي أن يسمى الله به وهو الذي سمى به نفسه، ولا يتطرق إليه إشكال، الأول دائما الأول ليس قبله شيء سبحانه.

ثم تكلم عن قول الطحاوي: «**وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ**»، هذا أيضًا من المواضع التي فيها ذكر القدر، قلنا إن القدر مفرق، بيَّن أن الإرادة هنا في قوله: «**ولا يكون إلا ما يريد**».

۞ الإرادة نوعان:

❍ **النوع الأولى:** إرادة قدَرية كونية خلقية.

❍ **النوع الثاني:** إرادة دينية شرعية أمرية، ويمكن تطلق عليها الإرادة القدرية، الإرادة الشرعية لكن يقال قدرية كونية خلقية من باب التوضيح، ثم يقول دينية شرعية أمرية، تطلق على كل واحدة منهما هذه الأسماء.

قال: الإرادة الكونية هي المشيئة الشاملة لجميع المخلوقات، الإرادة العامة هذه هي الإرادة الشاملة لجميع المخلوقات، أما الإرادة الشرعية فهي التي وردت في أمر الله لعباده بطاعات أداءً وبأن يكفوا عن المحرمات، وذكر الفرق بين الإرادتين، والكلام على الفرق بين الإرادتين قد يطول الحقيقة بنا.

بعد ذلك يتوسع الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسألة القدر، بحسب ورودها في كل مرة، نلخص الكلام في القدر الآن حتى إذا أتانا أي موضع في «شرح الطحاوية» يتعلق بالقدر ما نعيده لا حاجة أن نعيده، لأننا سنتكلم عليها في هذا الموضع - إن شاء الله - مرة واحدة، فإذا تكلمنا عليها مرة واحدة كفى.

يمكن أن نتحدث عن القدر في فقرات:

الفقرة الأولى: أنواع النصوص الواردة في القدر على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: إثبات ما يتعلق بالرب سبحانه، ما الذي يتعلق بالرب؟ إثبات المراتب الأربعة، العلم والكتابة والمشيئة والخلق، هذه المتعلقة بالرب سبحانه.

النوع الثاني: إثبات ما يتعلق بالعبد وأنه إذا كان مثبتاً لما يتعلق بالرب فلا يعني ذلك أن العبد تخلو مسؤوليته عما يفعل، بل النصوص الأولى تثبت ما يتعلق بالرب- سبحانه وتعالى- أنه علم كل شيء وكتبه في اللوح المحفوظ وأنه ما من شيء يقع إلا بمشيئته أيّا كان وأن الله تعالى خالق كل شيء ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد:١٦]، فهو الذي خلق المخلوق وخلق له أفعاله، أي: إذا مددت يدي الآن مد اليد منسوب لي أنا وهو فعلي أنا من الذي خلقني، الله والذي خلق لي الفعل **أي**: الذي جعلني قادراً على أن أمد يدي؟ هو الله فخلقني الله وخلق فعلي؛ لهذا إذا شل الله يد أحد لم يستطع أن يمد يديه؛ لأن الله ما خلق فيها الفعل، فهذا معنى كونه خلق العبد وخلق فعله، العبد مسؤول عن أفعاله، أي نوع من الأفعال الأفعال الاختيارية؛ لأن العبد له نوعان من الأفعال:

النوع الأول: أفعال اختيارية وهي في حياته بملايين الأفعال، أنت تفعل أشياء كثيرة جدًّا خطواً بقدميك، وأخذاً بيديك، ونظراً بعينيك، واستماعاً بأذنيك، وحدث ولا حرج مما لا يحصيه إلا الله من أفعالك الاختيارية وهي أكثر ما يفعل الإنسان أكثر ما يفعله الإنسان هو الأفعال الاختيارية.

النوع الثاني: الأفعال غير الاختيارية، تصدر من العبد وهو لا يختارها، ومثلوا لها بحركة المرتعش، المرتعش الذي يرتعش جزء من جسمه كيده يستمر يتحرك أو جسمه بأسره يتحرك، هذه الحركة هل يستطيع التصرف فيها؟ لا، ما الذي يترتب عليه؟ هذا المرتعش منذ أن يُكبِّر حتى يسلم وهو في حركة، صلاته صحيحة، **أي**: غير اختيارية، لو تحرك أحد ربع حركته في الصلاة بطلت صلاته، ما الفرق؟ هذه حركة مختار وتلك حركة غير مختار، يترتب عليها، السقوط من الأعلى، الذي يذهب إلى عمارة عالية فيسقط، إن كان مختارا أن يدفع نفسه من أعلاها فهذا انتحار شرعا وهو به آثم ومهدد بما يهدد ومتوعد بما يتوعد به قاتل نفسه، نفس الموضع الذي قفز منه هذا الإنسان يسقط منه آخر تزل به قدمه وهو لا يريد السقوط فيموت فلا يؤاخذ، لأنه غير اختياري، زلت به قدمه ما تعمد، وقِس على هذا أشياء كثيرة، إذاً

فالعبد يُسأل عن أفعاله الاختيارية، وهو النوع الثاني من أنواع النصوص إثبات ما يتعلق بالعبد وهو أن العبد مسئول عن أفعاله الاختيارية إذ له استطاعة وله مشيئة فإذا فعل الشيء مختارا فإنه يثاب عليه إما بالحسنى وإما بالعقوبة، وبذلك يعرف القسم الثاني من أقسام النصوص الواردة في القدر.

○ **النوع الثالث:** النصوص التي حذرت من النزاع والجدال في القدر، كيف يكون النزاع والجدال في القدر؟ كم عندنا من قسم الآن؟ عندنا القسم الأول إثبات ما يتعلق بالرب، الثاني إثبات ما يتعلق بالعبد، كيف يكون النزاع؟ يأخذ آية من الآيات المتعلقة بالرب، ويضرب بها آية من الآيات المتعلقة بالعبد حتى يجعل كأن بين الآيتين خلاف، وليس بين الآيتين خلاف، الآية الأولى تثبت ما يتعلق بالرب، والآية الثانية تثبت ما يتعلق بالعبد، وقد جاء في «المسند» ورواه اللالكائي أيضًا، «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ** ﷺ **خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ يَتَنَازَعُونَ فِي الْقَدَرِ، هَذَا يَنْزِعُ آيَةً، وَهَذَا يَنْزِعُ آيَةً**» كيف ينزع بأية؟ هذا يذكر آية تثبت ما يتعلق بالرب وآخر يذكر آية تتعلق ما يثبت بالعبد فغضب عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حتى احمر وجهه «**كَأَنَّمَا فُقِئَ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ**»، **أي**: من شدة احمرار وجهه من الغضب، فَقَالَ: «**بِهَذَا أُمِرْتُمْ؟ أَوْ بِهَذَا بُعِثْتُمْ؟ أَنْ تَضْرِبُوا كِتَابَ اللهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ**»، «**إِنَّمَا نَزَلَ كِتَابُ اللهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَلَا تُكَذِّبُوا بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، فَمَا عَلِمْتُمْ مِنْهُ فَقُولُوهُ، وَمَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ فَكِلُوهُ إِلَى عَالِمِهِ**»، لا يصح أن تؤخذ آيات القرآن وأحاديث النبي ﷺ ويجعل كأن بينها تعارضاً، معاذ الله من ذلك، الله يقول: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]، وأعطيك مثالا يوضح هذا، النبي ﷺ هل يهدي؟ بلى بنص القرآن يهدي، لاحظت كيف؟ لك ما تبادر بلا ولا بنعم، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾ [الشورى:٥٢]، وفي آية أخرى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي﴾ [القصص:٥٦]، يقيناً الهداية المثبتة غير المنفية بنسبة مئة في المئة، لماذا؟ لأن الهداية نوعان:

○ **النوع الأول:** هداية دلالة وإرشاد، فهو يهدي ﷺ وهو الهادي البشير صلوات الله وسلامه عليه، أنت يا طالب العلم على هدى على بصيرة أن تهدي، بمعنى أنك تدل فالدلالة والإرشاد هذه للرسل وللسائرين على نهجهم بدلالة الناس إلى طريق الحق.

○ **النوع الثاني:**- من الهداية-: المرتبط بالربوبية الذي نفاه الله عن نبيه وهو جعل القلوب تقبل الحق، وهي التي قال الله: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾

[الأنفال:٦٣]، هذه الهداية التي تكون لله؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى﴾ [القصص:٥٦]، يستحيل أن تكون المثبتة غير المنفية كما قلنا، وعلي هذا قِس.

فالقرآن لا يمكن والسنة لا يمكن أن يأتي فيها نصوص متعارضة بتاتا، لكن إذا أخذ نص يثبت أمراً ونص آخر يثبت أمراً أي: هذا ورد على مورد وهذا ورد على مورد آخر فضرب بعضها ببعض أظهر للناس كأن بين النصوص تعارضاً، ومعاذ الله أن يكون بين نصوص الوحي أي تعارض، إذا تبقى مسألة القدر على التقسيم الذي ذكرنا.

في القدَر نفى الله تعالى عن نفسه الظلم، وهذا الذي يتبادر إلى ذهن الجهال دائما، أنه لماذا يفعل الله كذا؟ أليس هذا ظلما؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء:٤٠]، فالله لا يمكن أن يظلم؛ لأن الظالم أيها الإخوة مع تجبره وتسلطه والله إنه ضعيف؛ لأن الأمر لو تم على ما أراد ما ظلم.

الله أيّ شيء يريده سبحانه يكون، فلا يظلم الناس مثقال ذرة، الظالم المتجبر الذي يخيف الناس، لو تحققت الأمور على ما يريد لظلم لكنه ضعيف ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٨]، فلما لم تأت الأمور على ما يريد بطش وظلم لأنه ضعيف لو كانت الأمور تتم على ما أراد ما يظلم لأنها تتم على ما أراد، فإذا أراد أمرا والناس بخلافه ظلمهم لهذا السبب، أما لو كان الأمر إليه في قلوب الناس لما ظلمهم وهذا الأمر متعلق بالله، فالله أصلا لا يظلم وهو أجل من أن يظلم ولهذا قال تعالى في الحديث القدسي: «**إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا**»، فالله حرم على نفسه الظلم أصلاً والله لا يظلم.

إذًا لماذا هدى هذا ولم يهدِ هذا؟ هذه مسألة أيضًا ترد، أولا سؤال الله تعالى بهذه الطريقة لا يجوز، فالله تعالى لا يسأل عما يفعل، ومع ذلك يجاب فيقال: انتهى القدر أيها الإخوة إلى أي أمر ما الذي ينتهي إليه القدر في آية في سورة الأنفال؟ انتهى القدر إلى علم الله سبحانه وتعالى، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال:٢٣]، فجاءك الجواب أن الله أعلم بخلقه، فهو أعلم بهداية من هدى وأعلم بضلالة من ضل، وكما أن الله قال: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤]، يقول ابن القيم: فهو أعلم حيث يجعل هدايته، فهو يهدي سبحانه وتعالى من يشاء عن علم منه سبحانه، ويضل من يشاء عن علم منه، ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٢-٢٣]، فعاد أمر القدر إلى علم الله، فلا تتدخل في علم الله تعالى، واحمد الله على معرفتك

الحق، وكونك على الإسلام وسل الله الثبات حتى تلقى الله على هذا الحال، أما إن نازعت في القدر فهذا يدخلك في القسم الثالث كما قلنا في نصوص القدر.

❍ **تأتي مسألة أيضًا في القدَر**، ويكثر الكلام عنها، وهي تقدير الشر، هل الله يقدر الشر أو لا يقدر الشر؟ قال في الحديث «**وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، من الذي قدر الهزيمة يوم أحد؟ إنه الله عَزَّوَجَلَّ، ومن الذي قدر النصر يوم بدر؟ إنه الله، يجيء المباشرة سؤال لماذا يُهزم المسلمون يوم أحد؟ أجاب الله عنه في القرآن: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ [آل عمران:١٦٥] أي: يوم أحد، بقتل سبعين منكم ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ [آل عمران:١٦٥] يوم بدر فقتلتم سبعين وأسرتم سبعين ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ [آل عمران:١٦٥] ؟ أي: كيف يكون هذا؟ كيف نغلب؟ ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:١٦٥]، أنى هذا أي: كيف يكون هذا؟ سأل الصحابة هذا السؤال، نحن المسلمون وهم الكفار وفينا رسول الله ﷺ فكيف نغلب؟ قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ﴾ [آل عمران:١٦٥] أي: بسببكم، قال بعدها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠]، فالله يقدر الشر لحكمة بالغة.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٦٦] تيأتيك الحكم، يعلم المؤمن من المنافق، ويتضح سبيل هؤلاء من هؤلاء واتضاح المنافقين بالغ الأهمية لأن المنافق مندس بين المسلمين أما الكافر فواضح بارز، ويتخذ رب العالمين شهداء يختارهم اختيارا، فقدر الله تعالى ما قدر لهذا؛ ولهذا صار درسا للأمة إلى قيام الساعة أن النصر موكول بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد:٧]، فالنصر موكول بأن يقام أمر الله، فإن لم تنصروا الله فإن الله يخذلكم ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ﴾ [آل عمران:١٦٠] .

إذًا هذا الدرس تعرف به الأمة أن المعاصي هي السبب الحقيقي في بلوغ الأمة مثل هذا الوضع الذي هي عليه اليوم؛ لأنه إذا حصلت العقوبة وسمى الله بمصيبة، في زمن رسول الله ﷺ ، مع أن الذي حصل منه الخطأ من؟ الرماة فقط رضي الله عنهم، البقية ما حصل منهم خطأ، ومع ذلك صار ذنب الأقل سببا في عقوبة الجميع فتعرف الأمة إذًا أن المعاصي هذه التي تصعد ليلا ونهارا وأعظمها وأفظعها الشرك بالله

عَزَّوَجَلَّ هي السبب الحقيقي في ذلة الأمة وأنه ليس السبب أن الأمة ما عندها النوع الفلاني من السلاح، أو ما عندها النوع الفلاني من التقدم والتكنولوجيا لا لا، هذه المسائل إلى الله سبحانه، لو شاء الله لجعل هذه الأسلحة وبالا على أهلها سبحانه، فدعها لله عَزَّوَجَلَّ وأصلح ما بينك وبين الله وأعد الإعداد الذي قال الله ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠]، ما هنالك أعداد إلا بالإعداد الذي يسبقه وهو الإعداد الحقيقي الذي أعد به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأمة والإعداد الحقيقي للتوحيد، وبناء الأمة البناء الصحيح، أما أن يوجد في الأمة ملايين يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقعون في الشرك وهم لا يعلمون أنهم يقعون في الشرك أين طلاب العلم؟ أين أهل العلم؟ أين الوضوح؟ أين الصراحة في دين الله عَزَّوَجَلَّ؟ وأكثر هؤلاء لو أنهم صرحوا ما أصابهم شيء ما يقولون نحن على حال من الخوف أو الذعر يستطيع أن يصرح.

إذًا هذا الحال لن يرتفع إلا إذا أُعيد أمر الله عَزَّوَجَلَّ، فعرفنا الدرس الذي وقع في أحد وتساءل عنه الصحابة ﴿أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ﴾ [آل عمران:١٦٥] خلاص نعرف بذلك درساً ونعرف أن الله إذا قدر الشر قدرة لحكمة؛ ولهذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»، هل قال ليس منك؟ لا ليس إليك؛ لأنه منه تعالى تقديرًا، أما ليس إليك لأن الله تعالى لا يمكن أن يقدر شراً لغير حكمة، هذا عبث والله يتنزه عنه سبحانه وتعالى، لكنه يقدر الشر لحكم ومنها ما تراه الآن، ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤١]، قالوا الفساد هذا الفساد الذي يقع في زروعهم وفي معيشتهم، بما كسبت أيدي الناس، ليذيقهم بعض الذي عملوا، الحكمة يا ربنا؟ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران:٧٢]، لو تنظر لهذه العبارة لعلهم يرجعون في القرآن، لعلهم يرجعون لعل بمعنى لكي أي لأجل أن يرجعوا، فهذه هي الحكمة في تقدير الله تعالى ما قدر؛ ولهذا يقدر الشر لحكمة، ويقدر سبحانه ما يقدر وهو غير ظالم لهم ولهذا روى «مسلم»: «عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ الدِّيلِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ، أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَرِ مَا سَبَقَ؟ أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقُلْتُ: بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وَمَضَى عَلَيْهِمْ، قَالَ فَقَالَ: أَفَلَا يَكُونُ ظُلْمًا؟ قَالَ: فَفَزِعْتُ مِنْ ذَلِكَ فَزَعًا شَدِيدًا، وَقُلْتُ: كُلُّ شَيْءٍ خَلْقُ اللهِ وَمِلْكُ يَدِهِ، فَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ، فَقَالَ لِي: يَرْحَمُكَ اللهُ إِنِّي لَمْ أُرِدْ بِمَا سَأَلْتُكَ إِلَّا لِأَحْزِرَ عَقْلَكَ»، اختبر عقلك، أي:

كيف ستجيب؟

فدلّ أمره على أن إلقاء الشبهة على طالب العلم المتضلع يصلح، لكن بينه وبين أستاذه وما جاء على المنبر وسأل الناس لكنه يعلم من هو أبو الأسود، ويعلم علمه فألقى عليه الشبهة لأن هذه الشبهة ترد في ذهن الإنسان الساذج مباشرة، يقول كيف يهدي هذا ويترك هذا؟ هذا ظلم، هذا من أسئلة السذج لأن الله لا يسأل عما يفعل؛ ولهذا لما أجاب أبو الأسود هذا الجواب، قال: رحمك الله **أي**: أن جوابك جواب سليم، فالله لا يظلم مثقال ذرة والله لا يقدر شيئاً عبثاً، ولذا فهو يقدر الشر لحكمة ويبين السبب، ويقول عَزَّوَجَلَّ ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى:٣٠] فقط؟ لا ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [المائدة:١٥] ترى، ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠]، لو آخذنا الله بما نستحق لهلكنا، لكن بعد أن يمهلك ما شاء الله كمْ أطلق هذا الإنسان عينه في الحرام والناس لا يرونه والله يراه كمْ أطلق سمعه في الحرام؟ كمْ أكل من مال حرام؟ لا يدري به الناس ولعله صاحب مظهر حسن وطالب علم والله يمهله، فأتاه من الله تعالى مرة أدب وجيع فإذا كان موفقا قال بما كسبت أيديكم، وإذا كان غير موفق قال ما الذي فعلت؟ أنا ماذا صنعت؟ لو أعطاك الله تعالى ما يعلم منك لهلكت لكن هذه أمور تؤدب الإنسان وتعود به إلى ربه سبحانه وتعالى فقال ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [آل عمران:٧٢]، فلله أبلغ الحكم في أمر القدر.

ولا تنازع الله تعالى في القدر إياك والمنازعة، فإن المنازعين لله تعالى في القدر هم أشر الناس؛ ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**أُخر النزاع في القدر لشرار أمتي آخر الزمان**».

ولهذا من أشر الفرق القدرية والمعتزلة، القدرية إذا أطلق القدرية يطلق على نوعين القدرية الغلاة والمعتزلة وعلي الجبرية أيضًا يطلق عليهم أنهم قدرية لما تنازعوا في أمر القدر تسببوا في تشويش كثير على عامة المسلمين، لأنهم من أشر الفرق «**أخر النزاع في القدر لشرار أمتي آخر الزمان**»، قال أهل العلم وهذا يدل على أن الصحابة سالمون من البدعة، لأنه قال آخر الزمان **أي**: ممن يأتون بعد الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، الكلام في القدر الحقيقة يطول لكن حاولنا أن ننجزه بالذي ذكرنا أخذا بمجمل ما قاله شارح الطحاوية- رَحِمَهُ ٱللَّهُ-.

بعد ذلك تكلم الطحاوي- رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عن نبوة نبينا ﷺ فقال: «**وإن محمدًا عبده المصطفى ونبيه في المجتبى ورسوله المرتضى**» هذا من المواضع التي قلنا أن الشارح يقول لا حاجة لتكرار التسجيعات وأمثالها وإنما يعبر بتعبير لا حاجة فيه للسجع.

تكلم الشارح هنا عن مقام العبودية لله وأنه شرف ولذا سمى الله نبيه ﷺ وهو سيد ولد آدم سماه بالعبد في مواطن كقوله ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن:١٩] الآية وغيرها من الآيات ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء:١] .

بعد ذلك تكلم عن إثبات النبوة، وذكر مسألة مهمة النبوة تثبت بماذا؟ المتكلمون لقلة إحاطتهم من المعتزلة وغيرهم، قالوا لا تثبت النبوة إلا بالمعجزات فقط هل المعجزات المعبرة عن المعجزات والحقيقة أنها كلمة المعجزات لم يرد اسم المعجزات في الكتاب ولا في السنة، إنما ورد في الكتاب والسنة تسميتها بالآيات البراهين لأن كلمة الإعجاز الإعجاز ذكر في القرآن ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء:٨٨] هذا تحدي لكن أكثر الآيات التي كانت خوارق للعادة زمن النبي ﷺ ما تحدى بها أحدا لماذا؟ لأنها بين الصحابة، فنبع الماء بين أصابعه الكريمة، هل تحدى به أحدا؟ هو بين الصحابة، تكثير الطعام بين الصحابة، فجعل المسألة التعبير بالمعجز المعجز قد يكون بعض صفاته لكن الحقيقة ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ [القصص:٣٢]، وهكذا تسميتها بالآيات، فهي آيات، دلالات وعلامات على صدق هذا النبي الكريم.

هل إثبات النبوة متوقف على المعجزات؟ لأنه يقول لا تثبت إلا بالمعجزات وبناءً عليه نفت المعتزلة نفت كرامات الأولياء قالوا: لأن لو أثبتنا كرامات الأولياء لشوشت بزعمهم على آيات الأنبياء، وهذا غير صحيح؛ لأنها كرامات الأولياء أصلاً ماذا تعد؟ نفسها هي دلالة على صدق الأنبياء لأن هذا الولي لم تقع له الكرامة إلا لاتباع هذا النبي فلا يمكن بعبارتهم الفارغة أن تشوش ما تكن تشويشا لما جعلوا الدلالة على النبوة هي فقط في الإعجاز صار بحوثهم وصار مجموع جهودهم يدور حول الإعجاز.

والحقيقة أن المعجزات لا شك أنها دليل صحيح على إثبات النبوة لكن دلائل النبوة غير محصورة فيها، دلائل النبوة أنت الآن في يومك هذا، لو تلتفت يمنة ويسرة وتتأمل في أحوال العالم لوجدت من دلائل النبوة ما لا يحيط به إلا الله.

من دلائل النبوة التي تحيط بنا إحاطة كثيرة أن تعرف نصوص النبي ﷺ التي ذكرت ما يكون في آخر الزمان، «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ**»، دلالة من دلائل النبوة، التفت الآن إلى التشبه بأعداء الله من اليهود والنصارى كيف هو؟ رجال ونساء وصبيان وكبار في السن وشباب أنواع وأشكال من التشبه هذا الوصف الدقيق حتى لو دخلوا جحر ضب إشارة إلى أنه سيتأسى بهم في أمور يعجب العاقل من تأسي هؤلاء الناس الآن لهؤلاء الكفار كما يعجب من أن أحدا يريد أن يدخل في جحر ضب هذه دلالة من دلائل النبوة أن يخبر ﷺ بأمور من الغيب المفصل في وصف أحوال الناس وفيما سيقع لهم ثم تقع كما أخبر دلالة من دلائل النبوة.

من دلائل النبوة التي ليست من المعجزات ما في كتب أهل الكتاب، مما أخبر به أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام وأخذوا الميثاق على أهل الكتاب إن أدركوا محمدا ﷺ أن يتبعوه، ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ﴾ فأقروا وأخذوا على قومهم كما قال ابن عباس –رضي الله عنه– أخذوا على قومهم إن أدركوا محمدا ﷺ أن يتبعوه؛ ولهذا آمن النجاشي وهو في الحبشة بالنبي ﷺ وهو لم ير معجزة، لما سأل جعفرا ومن معه من الصحابة رضي الله عنهم عن شاء النبي ﷺ وقرأوا عليه صدر سورة مريم بكى حتى أخضل لحيته وبكت القساوسة من حوله وقالوا أخذ عودا وقال والله لا يختلف هذا عما أنزل على عيسى مقدار هذا العود، كيف عرف النجاشي؟ هذه من دلائل النبوة.

من دلائل النبوة ما جاء في كتب الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُۖ﴾ [الصف:٦]، والأوصاف التي وصف بها النبي ﷺ ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٧]، يتفلسف بعض المنصرين اليوم يقول لك هذه التوراة والإنجيل عندك، أخرج لي هذه، تعبثون بها وتحذفون وتضيفون، كاللص الذي يزيل علامات الجريمة فتأتي الشرطة فلا تجد العلامات هذا أمر، الأمر الثاني توجد دلالات رغم أنفك، في التوراة وفي الإنجيل باقية، يقول شيخ الإسلام: الله تعالى حين قال ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾

[المائدة:٦٨]، قال: لا يحيلهم إلى التوراة والإنجيل إلا فيها دلالة، وقال شيخ الإسلام: رأيت نسخة من الزبور لم تحرف، من يقول لك إن ما فيه نسخ؟ فيه نسخ، وإذا قالوا أين هي؟ نقول النسخ التي بأيديكم أنتم الآن، هل هي نسخة واحدة نسخ بينكم متفاوتة وإن أخذتم مدة قال لك نسخة الملك جيمس هذه هي التي حررت، النسخة اللي قبلها ماذا فيها؟ قال لك هذه فيها هذه فيها تلفيق فيها إضافة، أرأيتم أنتم بأنفسكم تقرون أنها ملفقة لكن تعال كيف يؤمن النجاشي؟ كيف يؤمن هرقل؟ وسيد النصارى في زمنه سأل أبا سفيان ﷺ أحد عشر سؤالا عن النبي ﷺ فلما أخبره قال إن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج لكن لم أظن أنه يخرج منكم، ما كنت أظن أنه يخرج منكم، لأنهم كانوا يحتقرون العرب وهي أمة جاهلية فوضوية، فكانت- سبحان الله- في الأمم الأخرى ليس لها قيمة حتى رفعها الله- عَزَّوَجَلَّ- وأعزها بالإسلام، فكيف آمن هؤلاء؟

أمرٌ آخر، قبائل اليهود الثلاث التي أتت إلى المدينة، أين كانت في السابق؟ في الشام، أنت الآن ضع نفسك في موضعهم رجل يعيش في الشام حيث العيش الرغيد، والاستقرار السياسي، ويأتي إلى بلد في الجزيرة العربية، يضرب به المثل في ايش في الحمى، قال حمى يثرب، وفيه من ضيق العيش، وشدة الفقر ما هو معلوم في وسط الجزيرة العربية، وفيه قبيلتان، الأوس والخزرج، بينهما حروب مستعرة فلما أتت القبائل اليهودية الثلاث اضطروا، أن يحالف بعضهم الأوس وبعضهم الخزرج، فإذا وقعت حرب بين أوس والخزرج قتل اليهود بعضهم بعضا، فقالوا ما هذا الذي نصنع؟ نحن أمة، أهل كتاب، ندخل مع هؤلاء الوثنيين ويقتل بعضنا بعضا، ما الذي كلفكم؟ لماذا أتيتم إلى هذا الموضع المحدد؟ يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل، ثم إنهم يعلمون أن مهاجر هذا النبي هو طيبة كانت تسمى طيبة وهي سميت بالإسلام بالمدينة، فأتوا إليها تحديدا، ذكر ابن القيم- رَحِمَهُ ٱللَّهُ- تعالى في كتاب «هداية الحيارى عن واجبة اليهود والنصارى»: جملة من أخبار اليهود التي يعلمون بها ويستيقنون بها كما قال تعالى ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦]، الدلالات هذه مهمة جدًّا لأن الله تعالى يقول ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٩] فهو رسول ﷺ نبينا محمد كغيره من الرسل، تعرف صدقه بعرض حاله على حال الرسل من قبله، وبكون الرسل من قبله عليهم الصلاة والسلام قد بشروا به وأخبروا به وهو موجود في التوراة والإنجيل.

ولا تزال الدلالات مهما محوا منها لا تزال الدلالات قائمة على إثبات نبوته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فكيف تتخلى عن هذا؟ تقول إنها فقط المعجزات، بلى، الدلائل كثيرة، ولا يزال الحقيقة لو فتحنا الباب لمثل هذا **أي**: قصص اليهود كثيرة ومنها الحديث الذي في صحيح مسلم، أن يهوديا أتى النبي ﷺ فقال: جِئْتُ أَسْأَلُكَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟**» قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ فسأل النبي ﷺ عن هذه المسائل، فأجابه ﷺ فقال: «**وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ**»، فهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، يجزمون جزما لأن الله سيرسل في هذا الموضع المحدد من الجزيرة العربية سيرسل نبيا المدينة مهاجره ومن شأنه وصفه أنه يأكل الهدية ولا يأكل من الصدقة وهذه قصة سلمان- رضي الله عنه- الفارسي لما أتى استخبر النبي ﷺ وأهدى له ثم تصدق ثم أهدى إلى آخر القصص كثيرة جدًّا الحقيقة، وذكر شيخ الإسلام منها في كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح وذكر منها عدد ممن صنفوا في الردود على النصارى دلائل كثيرة يعلمون بها أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حق من عند الله.

من أعظم دلائل نبوة النبي ﷺ وهو دليل علمي عظيم، هذا التشريع الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تشريع الحكيم تشريع الأحكام.

انظر الآن البشرية كيف تاهت وضلت، حين صارت بهذا الوضع البعيد عن هدي الرسل عليهم الصلاة والسلام.

أيصدق أحد أن البشرية تصل إلى مرحلة تجعل عمل قوم لوط القذارة النتنة الحقيرة حقا من حقوق الإنسان؟! هذه عاقبة البعد عن تشريع الله- عَزَّوَجَلَّ-.

أيصدق أحد هذا الانتشار الهائل للربا الذي يمنعه الشرع المنع التام بجميع صوره وأشكاله، بحيث إذا اهتز الاقتصاد في العالم أبلغ الاهتزاز مباشرة ماذا يفعلون؟ ينزل قيمة الفائدة نصف في المئة فتستقر الأسواق، وتعود الأمور، إذا لو حذفت الربا كله كما قال ﷺ «**أَلَا وَإِنَّ كُلَّ رِبًا مِنْ رِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ**»، كل الربا ماذا يحصل للإنسانية؟ ماذا يحصل للبشر؟ الربا حفنة من البشر قليلة تتسبب في مأساة لملايين البشر، هذا الربا باختصار لهذا الشرع لا يقره بتاتا لأنه ربح بدون أدنى وجه حق، فهو ضرر على البشرية فيقول: خلاص ننزل الفائدة، إذا لم تستقر الأسواق ننزل زيادة في الفائدة، إذا لو حذفت الفائدة ماذا يقع؟

حين أتى الشرع فمنع الخمور، منع الفواحش منع الربا، الخمور، ماذا فعلت بالبشر؟ قتلى الخمور والمصابون من الخمور والدواهي التي تحدث بسبب أن الإنسان يقود سيارته وهو مخمور بحكم القانون، القانون يقول من حقك أن تشرب الخمر، فإذا أهلك الناس وهو مخمور وقاد السيارة وهو مخمور قالوا أنت خالفت القانون، أنت يا قانون سمحت له بشرب الخمر، فعليك أن تقبل ما ترتب على إقرارك له على شرب الخمر؛ لأن من المعلوم أنه لا يدر ما هو في ليل أو نهار، فإذا قاد سيارته سيهلك الناس قطعا.

لكن الشرع ماذا يقول؟ يقول أمنعك من الخمر، فإن شربت الخمر فجنيت فسأحاسبك، يقول كلام صحيح، متسق منعتني من الخمر فعصيت فجنيت فعاقبتني، أما القانون يقول أتحت لك الخمر فجنيت فأعاقبك أنت الذي سمحت لي بالخمر فإذا سمحت لي بالخمر فأذن لي فيما سيترتب عليه لأني لا أكون في وعيي، أما أن تقول سأعاقبك لماذا تقود السيارة وأنت مخمور؟ أنت سوي أنت، تأذن له بشرب الخمر ثم تعاقبه؟ لا أمنعه من الخمر.

هكذا التشريعات الفوضوية البشرية؛ لهذا لا يمكن أن يشرع الإنسان المشرع هو الله- سبحانه وتعالى- ولهذا قال تعالى ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى:٢١] التشريع لله هو الذي يعلم كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك:١٤] .

ولهذا لما جاءت الجائحة المعبر عنها بدءًا كورونا، رجع العالم كل العالم إلى حديث نبوي: «**إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا مِنْهَا**»، كل العالم رجع إلى هذا الحديث بعض الغربيين حقيقة كتبوا كتابات يقولون هذا أمر مذهل جدًّا، **أي**: مثل هذه الأحكام المفترض أن الأمة تبثها وتبينها، توضح عظمة الإسلام، وأن هذا النبي الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نبي صادق من عند الله عَزَّوَجَلَّ، لكن هذا التقصير العظيم في أمر الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام:١٩] لا بُدَّ يبلغ لا بُدَّ يظهر لا بُدَّ يعلم يفشى في البشر، وإلا فالكلام في دلائل نبوته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كثيرة جدًا.

لعظم الدلائل في كتب أهل الكتاب، وجد في أهل الكتاب فرقة، ذكرهم الشافعي في «الأم»، والبغوي وابن حزم، ولقيهم ابن تيمية، وابن القيم، هذه الفرقة لما رأت الدلائل الكثيرة في كتبهم على نبوة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قالوا: يستحيل أن نقول إن محمدًا كاذب لأن الدلائل في كتبنا، والكتاب المنزل عليه لا بُدَّ

أن نقول إنه حق، لأنا إذا كذبناه كذّبنا ما في كتبنا، فوجدت فرقة منهم تقول إن محمدا ﷺ صادق، يقول الشافعي هؤلاء إذا قال القائل منهم أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله لا يقبل منه، لماذا؟ لأنهم يقولون هو صادق لكنه مبعوث لبني إسماعيل تحديدا فأتباعه ناجون في القيامة ونحن باقون نحن بنو إسحاق على اتباع أنبيائنا، يقول الشافعي: فلا تنفعه لا إله إلا الله محمد رسول الله حتى يبرأ من دينه ويقول إن دين الإسلام هو الدين الحق، التقى هذه الفرقة أهل العلم ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصواعق المرسلة» وفي كتاب «هداية الحيارى» قصة لخصها الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرحه للطحاوية» يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وذكرها أيضًا ابن القيم في «زاد المعاد» يقول لقيت رجلا من أصحاب هذه المقالة وهو من كبار اليهود فقلت له أنكم تسبون الله مسبة ما سبه أحد من الخلق مثلها، يقول فقال لي ومثلك يقول هذا **أي**: أنت رجل من علماء المسلمين، كيف تقول إن اليهود سبوا الله مسبة ما سبها أحد من ليسوا بذوي دينهم، قال تعالى أبين لك، أنتم قلتم إن رجلا خرج وافترى على الله أن الله أرسله، وبقي ثلاثا وعشرين سنة، يكذب على الله، والله ينصره وينزل عليه من الآيات الدالة للناس على أنه صادق، حتى مكنه الله تعالى في الأرض وبقي ثلاثاً وعشرين سنة لم يظهر دلالة واحدة على أنه كاذب، ثم توفي فمكن الله لأصحابه في الأرض فنشروا هذا الدين الذي أتى به بزعمكم من عنده وليس من عند الله حتى وصل إلى مشارق الأرض ومغاربها، وهزموا وغلبوا أتباع الرسل الذين تزعمون أنهم أنتم وأنتم صادقون حتى ألزموهم بالصغار، كل ذلك ولا يظهر الله دلالة واحدة على كذب هذا الرسول، فأي مسبة سببتم الله تعالى أشد من هذه المسبة أن يترك كاذبا يفتري عليه يقول: فقال لي معاذ الله أن نقول هذا، بل هو صادق، والقرآن المنزل عليه حق وأتباعه ناجون، ولكن هو نبي إلى بني إسماعيل، ونحن على ما عليه أنبياؤنا من بني إسحاق، كيف الرد؟ يقول ابن القيم: فقلت غلبت كل الغلب فإذا كنت تقول إنه صادق والقرآن المنزل عليه حق فإن هذا الصادق قال إن عليكم أهل الكتاب أن تتبعوني، فإن كان صادقا فصدقوه في هذه يقول فقال واحمر وجهه احمرارا إلى احمراره الأصلي فقال حدثنا في غير هذا، **أي**: شوف لنا موضوع آخر، لأنه قال **أي**: هذا الكلام لا جواب عنه، فإذا كنتم تقولون إنه صادق فهذا الصادق يقول إن عليكم يا أهل الكتاب أن تتبعوني والكتاب المنزل عليه يقول ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى﴾ [الأعراف:١٥٨]، والرسل من قبله يقولون يا قوم، وهذا النبي يقول: يا أيها الناس، فإن كان

صادقا والكتاب المنزل عليه صادقًا فإنه يخبر أن رسالته عامة فيقول فقال حدثنا في غير هذا، هذا على كل حال جزء **أي**: من الكلام على موضوع ختم النبوة على موضوع النبوة ونتم- إن شاء الله- ما يتعلق بختم النبوة وقوله سيد المرسلين- إن شاء الله- بحسب ما ييسر الله تعالى في بقية الوقت.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).

(١) نهاية الدرس الثاني.

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ:

كنا توقفنا في الضُّحى عند كلام الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ما يتعلق بالشهادة لمحمد صلوات الله وسلامه عليه بالرسالة، وذكر أنه خاتم النبيين، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠]، وأجمع المسلمون على أنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وأنه لا يكون نبيٌّ بعده البتة، فمن ادعى نبوة بعد محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فقد افترى الكذب، وهو به كافر، وأيضا هو بهذا الاعتقاد، من صدَّقه في اعتقاده أيضا؛ فهو كافر.

وأخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه سيكثر الكذابون الذين يدعون النبوة، وبيَّن أن عددهم سيبلغ ثلاثين، والمراد ببلوغهم الثلاثين: قال أهل العلم: من لهم شوكة وقوة، أمَّا من يدعي النبوة قد يكون في عقله شيء من الخَبَلِ وعدم التمييز؛ فهؤلاء يكثرون، ولا يُقصدون أصلًا، لكن من يكون لهم شوكة، وكان من آخرهم عدو الله غلام أحمد القادياني الذي ادعى النبوة، وهو ممن صنعه الاحتلال البريطاني للهند، وأرادوا به إرباك أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يزال لهذا الكافر الفاجر أتباع إلى الآن، وهم يرعون من أعداء الله من الإنجليز وغيرهم، حتى يستمر هذا، بمثابة الخنجر في خاصرة أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن من المعلوم المقطوع به: أن من ادعى النبوة بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كافر، ولهذا أصدر العلماء في أنحاء الأمة أن الطائفة القاديانية لا تعتبر من المسلمين أصلًا، وأنه لا يصح أن يُحسبوا في المسلمين؛ لأنهم يدعون نبوة بعد نبوة نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

جاء في النصوص –أيضا–: أن الدجال يبدأ في أول ما يبدأ به أنه يدعي النبوة، ثم بعد ذلك يدعي الربوبية.

قال المصنف: «وسيد المرسلين».

والدلالة على أن نبينا محمدًا ﷺ سيد المرسلين قوله: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ**»، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وتكلم العلماء عن سبب إخبار النبي ﷺ بذلك، لو أن النبي ﷺ ما أخبرنا أنه سيد ولد آدم؛ لما صح أن نفضل بين الأنبياء إلا بدليل، الله تعالى قال في كتابه: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة:٢٥٣]، فإذا أردنا أن نفضل نبيًّا؛ فإنَّنا نفضله بدليل، فجاء هذا النص منه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الذي فيه إخباره بأنه سيد ولد آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فهو بذلك سيد المرسلين أجمعين، وسيد الجميع قطعًا، إذا كان سيد المرسلين، فالرسل هما أفضل بني آدم؛ فهو سيد الجميع صلوات الله وسلامه عليه.

السبب في إخباره ﷺ : أن الأمر أمر اعتقاد، لا بُدَّ من أن نعتقد، فلو قال أحد: إن سيد المرسلين موسى، أو قال آخر: إنه إبراهيم أبو الأنبياء؛ لما كان عندنا دليل، ونحن قلنا: هذه المسألة لا يحل الخوض فيها إلا بدليل، فجاء الدليل.

يأتي -أيضا- في الشرح الذي بعده: أنه خليل رب العالمين سبحانه وتعالى، والخلة هي أعلى درجات المحبة، ولذلك أخبر ﷺ ، وأخبر أنه لا يفاخر بهذا: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ**»، على سبيل الإخبار، حتى نعتقد عقيدة من هو سيد المرسلين، هذا الدليل، قلنا أكثر من مرة: إن العقيدة لا نستطيع أن نقول فيها كلمة إلا بدليل، أو أن تكون مما أجمع عليه السلف الصالح رضي الله عنهم، لا يُجمعون على باطل، فلأجل ذلك أخبر بأنه سيد ولد آدم؛ حتى يُعتقد ذلك صلوات الله وسلامه عليه.

قال المصنف: «وحبيب رب العالمين».

ولا شك أن النبي ﷺ حبيب رب العالمين، لكن ليس وحده هو حبيب رب العالمين؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤]، فالله يحب المؤمنين، وأخبر تعالى أنه ﴿يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢]، لكن محمدًا ﷺ بلغ أعلى درجات المحبة؛ وهي الخلة، والذي كان ينبغي أن يُعبر به: أنه خليل رب العالمين عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لأن الخلة هي أعلى درجات المحبة، ولهذا قال ﷺ : «**وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنَ النَّاسِ خَلِيلًا؛ لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّ صَاحِبَكُم خَلِيلُ اللهِ**»، الخلة هي أعلى درجات المحبة، وحصل عليها اثنان من الأنبياء هما:

إبراهيم، ومحمد، صلوات الله وسلامه عليهما، نصَّ الله على خلته لإبراهيم بقوله: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النساء:١٢٥]، وأخبرنا ﷺ أن الله اتخذه خليلا، فأفضل الأنبياء إبراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما.

وأفضل النبيَّيْن محمد صلوات الله وسلامه عليه، فهو أفضل بني آدم على الإطلاق، وأحب بني آدم إلى الله.

قال المصنف: «وَهُو المبعوثُ إلى عَامَّةِ الجِنِّ وكَافَّة الوَرَى».

أوضح أن بعثة النبي ﷺ للجن والإنس، قال الله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]، وكما في الحديث: «**وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**»، ولهذا أمره الله أن يخاطب الناس، ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]، الرسل قبله كانوا يخاطبون أقوامهم: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [الأعراف:٦٥]، وهكذا شعيب، وصالح، وجميع الأنبياء، أمَّا النبي ﷺ فهو مبعوث للجميع، لا يحل لأحد أن يتبع نبيًّا سواه، ومن ادَّعى أنه يتبع نبيًّا بعد بعثة محمد ﷺ ؛ فهو كاذب، لأن الأنبياء -كما تقدم- أخذوا على أقوامهم العهد أن يتبعوا محمدًا ﷺ إذا بُعث، ولهذا إذا نزل عيسى عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان -كما دلت النصوص- فإنه يحكم بشرع محمد ﷺ .

مَن أفضل أمة محمد ﷺ ؟ أبو بكر رضي الله عنه، ما في أحد أفضل منه؟ عيسى؛ لأن عيسى من أمة محمد ﷺ ، لكن إذا قلنا: إن أبا بكر هو أفضل الأمة؛ فمقطوع أنه أفضل الأمة سوى الأنبياء، ولهذا إذا قلنا مثلا: أفضل الأمة أبو بكر، يقينا بعد الرسول، هذا المراد، فعيسى من أمة محمد ﷺ ، وإذا نزل يحكم بشريعة محمد ﷺ ، ولهذا إذا نزل يكسر الصليب، ويضع الجزية؛ لأن الجزية في دين الله تعالى مؤقتة إلى أن ينزل عيسى، فإذا نزل عيسى عليه الصلاة والسلام انتهت الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام، لأنهم يدعون أنهم أتباع لعيسى، فإذا نزل عيسى وكسر الصليب؛ علموا أن ما كانوا يتوهمونه من أنهم اتباع لعيسى باطل، فلا تقبل الجزية بعد ذلك.

بعد أن تكلم عن أمر النبي ﷺ ، رجع مرة أخرى إلى أمر القرآن.

❁ **قال المصنف:** «**وأَنَّ القرآنَ كَلامُ الله، منْهُ بَدَأ بلاَ كَيْفِيَّة قَوْلاً، وأَنْزله على رَسُولِهِ وَحْيًا، وَصَدَّقَهُ المؤمنون على ذلك حَقًّا، وأَيْقَنُوا أنه كلامُ الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوقٍ ككلام البَرِيَّةِ، فمن سمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كلامُ البشرِ، فَقَدْ كَفَرَ**».

قوله: «**القرآنَ كَلامُ الله**»: صريح في أن القرآن هو كلام الله، وإذا قال أحد: إنه كلام الله، فهو كلام الله بلفظه ومعناه؛ **أي**: الله هو الذي تكلم بالقرآن، فهو الذي قال سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة]، هو الذي قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١-٢]، جبريل سمعه من رب العالمين، ونقله إلى محمد ﷺ، ومحمد ﷺ بلَّغه الناس، فالقرآن كلام الله، الله هو الذي تكلم به، فهو كلام الله بلفظه ومعناه، هو الذي تكلم به، لأن كلام الله تعالى بصوت وحرف، بحرف؛ كما قال ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**».

فالقرآن حروف، وهو أصوات؛ **أي**: كلام الله بصوت، فالله تعالى -كما في الحديث الذي أورده البخاري-: «**يَحْشُرُ اللهُ العِبَادَ، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ**»، ولهذا سمع موسى خطاب الله، فلما سمع الخطاب ردَّ الجواب: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه:١٧]، فلما سمع هذا الكلام أجاب: ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ﴾ [طه:١٨]، إلى آخر الآيات، فهو كلام الله تعالى بلفظه ومعناه.

❁ **قال المصنف:** «**منْهُ بَدَأ**».

أي: أن الله هو الذي تكلم به، ما تكلم به سواه.

❁ **قال المصنف:** «**بلاَ كَيْفِيَّة قَوْلاً**».

قوله: «**قَوْلاً**»: تأكيد لكونه مما تكلم به كلامًا حقيقيًّا، كما في قول الله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤] تأكيد لكونه كلام الله عَزَّوَجَلَّ، وأن القرآن هو كلام الله وقوله.

بعد أن فرغ من الكلام عن القرآن ذكر أمر الرؤية، والمراد بالرؤية: رؤية المؤمنين لربهم تعالى في الجنة.

قال المصنف: «والرؤْيةُ حقٌّ لأهلِ الجَنَّةِ».

الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر أن المخالف في أمر الرؤية الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم، حتى نعرف أيها الإخوة موضوع الرؤية، لماذا ينكرونها؟ الرؤية لوجه الله، كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ**»، إذا أثبت الرؤية، المثبت للرؤية لا بُدَّ أن يثبت الوجه الكريم الذي يُرى، وهم ينفون الصفات، فلما نفوا الوجه، وجاءت نصوص الرؤية الصريحة، نفوا الرؤية كما نفوا الوجه، المتقدمون من الأشاعرة -كما قلنا- كأبي الحسن كانوا يثبتون الرؤية ويثبتون الوجه، فلما جاء المتأخرون من أصحاب الأشعري نفوا الوجه عن الله عَزَّوَجَلَّ، فلما نفوا الوجه بقيت الرؤية، فإن أثبتوا الرؤية، الرؤية إلى ماذا؟ إلى الوجه الذي نفوه، فلهذا نفوا الرؤية، وأخذوا بقول المعتزلة في الرؤية، حذو القذة بالقذة، مع أن أبا الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ترك مقالة المعتزلة وعارضها أشد المعارضة، وانسلخ من قول المعتزلة بالكلية، وأعلن هذا في بغداد، فمال المتأخرون من الأشاعرة إلى مقولة المعتزلة الذين هم خصوم الأشعرية، ولهذا ما يمكن أن يكون التيار الأشعري واحدًا، مستحيلٌ؛ لأن التيار الأشعري المتقدمون من أصحاب أبي الحسن يعتقدون عقيدة، جاء الذين في الوسط وهم المتأثرون بأبي المعالي الجويني، أبو المعالي هو الذي أثر تأثيرًا كبيرًا في المذهب، حتى مال به إلى مقالات المعتزلة، حتى إنه يقول في بعض المسائل: قال أصحابنا -**أي**: الأشاعرة القدامى-، وقال المعتزلة، والصواب قول المعتزلة، بهذا الشكل يقول، فمال جدًّا بالمذهب إلى مقالة المعتزلة، إلى أن جاء الرازي والبيضاوي فمَالَا بالمذهب إلى مقالات الفلاسفة، وهي أشد قطعًا من مقالات المعتزلة، واستقرَّ -للأسف- المذهب على هذا، مذهب الأشاعرة مستقر على ما كان عليه المتأخرون من الأشعرية كالبيضاوي والرازي، واستقر على هذا، فلما جاءت مسألة الرؤية وإذا بأبي الحسن يثبتها صراحًا؛ لأنه يثبت الوجه، فإن أثبتوا الرؤية ونفوا الوجه؛ صار الكلام متعارضًا، لأجل ذلك نفَوا الرؤية كما نفوا الوجه، والتحقوا بالجهمية والمعتزلة في هذه المسألة.

أورد الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ نصوص الرؤية الدالة على ثبوتها بالقرآن، ومنها قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٣]، «**ناضرة**»: بالضاد أخت الصاد: من النضارة والبهاء والحسن، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٣] «**ناظرة**»: بالظاء أخت الطاء: من النظر، ولهذا ذكر الله الوجوه، فهم ينظرون إلى الله،

نسأل الله الكريم من فضله.

وجاء في الحديث أنهم إذا أكرمهم الله تعالى بالنظر إليه، ورأوا وجهه الكريم؛ ذُهلوا عن كل نعيم في الجنة هم فيه، لأن أعلى نعيم في الجنة: هو النظر إلى وجهه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ولهذا قال ﷺ: «**وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ**».

من الأحاديث التي فسر النبي ﷺ فيها القرآن هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، روى مسلم في صحيحه: أن النبي ﷺ قرأ الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، فقال: «**الحُسْنَى: الجَنَّةُ، والزِّيَادَةُ: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللهِ**»، إلى غير ذلك من النصوص، النصوص التي تثبت الرؤية في القرآن أربعة نصوص، ثم أورد جملة من الأحاديث التي فيها: أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أخبر برؤية المؤمنين لربهم، وذكر أنه يرويها نحوٌ من ثلاثين من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

وقد اعتنى العلماء بمسألة الرؤية؛ لأنها من مسائل الممايزة بين أهل السنة وبين الجهمية وأهل البدع عمومًا، فصنف الدارقطني رحمة الله عليه كتابًا سماه: «**الرؤية**»، واعتنى المصنفون في كتب الاعتقاد المسندة، وهذه الكتب دائما في كل مناسبة نأتي ننبه عليها وننوِّه بشأنها، كتب الاعتقاد المسندة هذه تروي العقيدة بالسند عن النبي ﷺ، وعن الصحابة، وعن التابعين، وأتباع التابعين، وأئمة الإسلام، فإذا أتوا مثلًا إلى الرؤية، اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الجليل: «**شرح أصول اعتقاد أهل السنة**»، وضع سياقين اثنين في الرؤية، وأنها بالأبصار، ينظرون إلى الله عَزَّوَجَلَّ بأبصارهم، السياق الأول فيما يتعلق بنصوص القرآن، كالنصوص السابقة التي فسر النبي ﷺ وفسر الصحابة رضي الله عنهم هذه الآيات بأنها تعني الرؤية إلى وجه الله، والسياق الثاني: فيما أخبر به النبي ﷺ من الأحاديث عمومًا، وما جاء عن الصحابة والتابعين وأتباع التابعين وأئمة الإسلام رضي الله عنهم من أمر الرؤيا وإثباتها، ومنها قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ**»، إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة الدالة على الرؤية.

بعد أن تحدث عن الرؤية علق على قول الطحاوي: «**وتَعالَى عَنِ الحدُودِ والغَاياتِ، والأَرْكانِ والأَعْضَاءِ والأَدَواتِ، لا تَحويهِ الجِهَاتُ السِّتُّ كسَائِرِ المُبْتَدَعَاتِ**»، كنا قلنا في بداية شرح الطحاوية: أن

هذه العقيدة على ثلاثة أقسام: قسم -وهو الأكثر- مطابق لاعتقاد السلف، والقسم الثاني: هو الألفاظ المجملة، **أي**: هذه العبارات هل نتحدث عنها؟ نتحدث عن الله بها؟ فنقول: إن الله تعالى عن الحدود، فلا نثبت لله الحد، أو نثبت الحد، وهكذا ما يتعلق بعبارة الجهة، ونحوها، أفاض الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذكر حكم الألفاظ المجملة، وهذه الألفاظ التي ذكرها الطحاوي لا شك أنها مجملة، ما المراد بالألفاظ المجملة؟ **أي**: عندنا القرآن والسنة فيما يتعلق بصفات الله أتت بإثبات صفات فنثبتها، وأتت بنفي صفات عن الله؛ فننفيها، ما لم يرد إثباته ولا نفيه إن أثبتناه فليس معنا دليل، وإن نفيناه فليس معنا دليل، هذا النوع لفظ مجمل، ومما ذكره المتأخرون بعد السلف: الصواب في هذه الألفاظ هو التفصيل، فلا تُطلق لا نفيًا ولا إثباتًا، وإنَّما لا بُدَّ من أن يفصَّل فيها، ويقال: ماذا تقصد بهذه الكلمة؟ فإذا قال: أقصد بهذه الكلمة معنىً، وذكره وكان معنىً صحيحًا، قيل له: أصبت في المعنى، وأخطأت في اللفظ، إذًا ما كان ينبغي أن تُطلق هذا اللفظ، وإن أراد معنىً باطلًا قيل: أخطأت في المعنى وفي اللفظ، وعلى هذا نعرف: أنه ينبغي أن يعبَّر بالألفاظ الشرعية.

مثل ما قال العلامة الشنيقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب أضواء البيان: «**والله لا يسألكم الله في القيامة فيقول: لم أثبتم لي الاستواء؟ قال: ما يسألكم، لكن إذا نفى أحد الاستواء؛ قال الله: لِمَ نفيت الاستواء وقد أثبته في سبع آيات**»، لأجل ذلك يعبر بالألفاظ الشرعية.

قال -أيضا- الشنيقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله تعالى: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ﴾ [البقرة:٢٩] : كلام من كلام الله، الحرف منه بعشر حسنات، وهو كلام الله عَزَّوَجَلَّ، فيذكر اللفظ الذي ذكره الله عَزَّوَجَلَّ، أمَّا أن تحدث ألفاظ مثل هذه، فهذه الألفاظ تارة يُقصد بها معنىً صحيحًا، فإذا نفيت اللفظ ابتداءً؛ نفيت معنىً صحيحًا، وإن أثبتَّ اللفظ -وقد يراد به معنىً باطلًا؛ فقد أثبتَّ الباطل، لأجل ذلك: لا بُدَّ من الاستفصال في مثل هذه العبارات إذا سمعناها، لكن أهل السنة ينبغي أن يكفُّوا عن إطلاقها، وأن يقتصروا على ما جاء في كلام الله وكلام رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففيه الغُنية، أمَّا ما لم يرد نفيه ولا إثباته؛ فيجب التوقف فيه والاستفصال.

وإذا أردت أن تعلم أمر الأسماء والصفات؛ فتأمل الحديث الذي يرويه البخاري في شأن الصحابي الذي كان يؤم قومه، فإذا صلى بهم قرأ بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]، وسورة أخرى، في كل ركعة، فيقرأ في الركعة الأولى سورتين، ثم يقرأ في الركعة الثانية سورتين، فقالوا له: كأن هذه السورة لا

تجزئُك حتى تقرأ إليها أخرى، إمَّا أن تقتصر عليها وتقرأ السورة الأخرى، فقال: أنا سأصلي بكم هذه الصلاة، **أي**: أنتم بالخيار؛ إمَّا أن تقرُّوني على ما أنا عليه، وإلا صلُّوا أنتم، فكرهوا أن يزيلوه؛ لأنه كان من أقرئهم لكتاب الله، وأخبروا النبي ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام: «**سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ صَنَعَ ذَلِكَ**»،قال: لأنها صفة الرحمن وإني أحبها، قال: «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ أَحَبَّهُ**»، ما الذي أقرَّه النبي ﷺ عليه؟ مباشرة نتجه إلى الحكم الفقهي فنقول: إنه يجوز أن تُقرأ سورتان في ركعة، صحيح، لكن بقي الأمر العظيم الجليل: وهو أن النبي ﷺ أقرَّه على أن صفة الرحمن نفي وإثبات، لأن سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١] فيها إثبات الأحدية لله، الله الصمد، هذا كله إثبات، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٣-٤] هذا نفي، فأقره ﷺ على أن سورة قل هو الله أحد صفة الرحمن، وأن صفة الرحمن ما هي؟ إثبات ما أثبته الله، ونفي ما نفى الله، لأجل ذلك لسنا بحاجة إلى أن نحدث ألفاظا كهذه، بل نقتصر على إثبات ما أثبت الله ورسوله، وعلي نفي ما نفى الله ورسوله، وقد أضاف الناس إلى رب العالمين جملة من الأسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان؛ فالنصارى تسمي الرب سبحانه: بالأب، وتطلق عليه الفلاسفة –أيضا– أسماء، ويطلق عليه المتكلمون أسماء، الواجب الاقتصار على ما في النصوص؛ لأنه تعريف رب العالمين يعرِّف بنفسه، ولا يحتاج سبحانه أن يُعرِّف به أحد ويسميه بأسماء، بل يقتصر على ما ورد في الكتاب والسنة.

لأجل ذلك تكلم الشارح رحمه الله عن أمر الألفاظ المجملة، وأنه ينبغي أن يُستفصل في شأنها.

قال المصنف: «والمِعْرَاجُ حقٌّ، وقَدْ أُسْرِيَ بالنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ في اليقَظَةِ إلى السَّماءِ، ثُمَّ إلى حيث شاءَ الله مِنَ العُلا، وأكْرَمَهُ الله بِمَا شَاءَ، وأوْحَى إليْهِ مَا أَوْحَى».

عاد الآن إلى أي مسألة؟ مسألة تتعلق بالنبي، إذًا قلنا: إن العقيدة هذه غير مرتبة، «المعراج»: هو الآلة التي يُعرج فيها، والله تعالى قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء:١]، الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أمَّا المعراج فالمراد به: العروج والصعود إلى العُلا، وقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام في الأحاديث من غير وجه: أنه عُرج به إلى السماء، ووجد في السماء الأولى آدم، ثم في الثانية فلانا، والثالثة فلانا، وفي السادسة موسى، وفي السابعة إبراهيم، ثم ارتُفع به إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام؛ **أي**: أقلام الملائكة عليهم الصلاة والسلام

التي تكتب، ثم كلَّمه الله كفاحًا؛ أي: مباشرة، فالمعراج حق ويُثبت، وفرض الله تعالى عليه الصلوات خمسين صلاة، ثم خففها تعالى إلى أن صارت خمسًا.

فالمعراج حق يثبت للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ويأتينا -إن شاء الله تعالى- أن المعراج من أدلة ماذا؟ العلو، هنا -يا إخوة- حين يأتي الذين يُثنون على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويمدحونه، فيقولون: من فضائله: العروج به، ثم ينفون علو الله، العروج به إلى ماذا؟ تتحقق كرامة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يُعرج به إلى الله، فينفون علو الله، ويُثبتون العروج، فالعروج المقصود به: بأنه ارتُفع به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلى أن كلَّمه الله تعالى كفاحًا، أي: كلَّمه الله مباشرة، وهذا عندنا مسألة في الفِرَق الضالة عمومًا، الفرق الضالة يأتي فيها تناقض بين باب يثبتونه، وباب آخر يثبتونه، فيتعارض بابان من الأبواب، فباب كرامة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفضائل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باب متفق عليه، ومن كراماته صلوات الله وسلامه عليه: أن الله شرَّفه بالعروج إليه، فإذا نفيت العلو، ماذا يكون المعراج؟ ولهذا يكثر عندهم الاضطراب، كثير من النظَّار، ومشاهير من تسمع: كأبي المعالي الجويني، والرازي، والخسروشاهي، والشهرستاني.

أورد الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ جملة من حيرتهم في آخر أعمارهم، كيف حاروا، العقيدة إذا أُخذت من القرآن، فالله يقول: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]، ما يمكن أن يكون في القرآن اختلاف، مثل ما ذكرنا اليوم: قد يأتي إنسان يقول لك مثلًا: كيف الله ينفي الهداية في موضع، ويثبتها في موضع؟ يبيَّن لك ويوضَّح، لا إشكال، فتعرف أن الخطأ في فهمك لا في كتاب الله، لكن إذا تُلقِّيت العقيدة من غير كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حصل الاختلاط والاضطراب والحيرة في آخر ما يقف عليه، وهذا الذي وقع للمتكلمين.

وأورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أخبارهم، وهي أخبار جدير بطالب العلم أن يقف عليها، ومن أشهر من صنف من المتكلمين: أبو المعالي الجويني، وفي آخر عمره ندم ندامة شديدة على دخوله في الكلام الذي حذَّره السلف منه، لم يحذروه بشخصه، لكن حذر السلف عمومًا من هذا المسمى: بعلم الكلام، وقال في آخر حياته: «**قرأت خمسين ألفًا في خمسين ألفًا**»؛ **أي**: من الأوراق، هذا مراده، وخلَّيت أهل الإسلام وعلومهم، وخضت في الذي نهوني عنه -**أي**: السلف-، والآن أعود إلى عقيدة أمي، إن لم يتداركني الله عَزَّوَجَلَّ، ويقبضني على كلمة الحق؛ فالويل لابن الجويني، وقال: «**يا إخواننا لا تشتغلون بالكلام**»، لاحظ الشافعي الفقيه الإمام العلامة حين يقول: حكمي في أهل الكلام أن يُضربوا إلى آخره، كبار المتكلمين

يعودون إلى كلام السلف: كالشافعي، وأحمد، ومن قبلهم، ويقرُّون أن ما قالوا صواب، لهذا يقول الجويني: «**وحضت في الذي نهوني عنه**»، الذي كان ينهى عنه الشافعي والإمام أحمد، ومن قبلهم من السلف، لمَّا خرجت بدعة المتكلمين، وقال: «**يا إخواننا، يا أصحابنا** -يوصي تلاميذه- **لا تخوضوا في الكلام، فلو علمت أنه يوصلني إلى ما أوصلني إليه**»؛ ما خضت فيه، وهو من أكثر الناس تأليفًا في الكلام.

وألف الرازي الأشعري التفسير الكبير «**مفاتح الغيب**»، لا نقرُّه بالاسم «**مفاتح الغيب**»، غريب سبحان الله، اسم عجيب، كيف يسمي إنسان كتابه بـ«**مفاتح الغيب**»، «**مفاتح الغيب**» عند من؟ ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأنعام:٥٩]، سبحان الله حتى أسماء الكتب خطأ، مفاتح الغيب لله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩]، كتابه سماه: بـ«**التفسير الكبير، ومفاتح الغيب**»، لا يُقرُّ على تسميته: بـ«**مفاتح الغيب**»، مفاتح الغيب لله عَزَّوَجَلَّ، في آخر حياته صنف كتابًا -يقول ابن القيم وابن تيمية: هو أفضل ما صنف- سماه: «**أنواع اللذات**»، رجع فيه إلى إقرار أن قول السلف هو الحق في آخر حياته، وقال فيه أبياتًا مشهورة: «**لقد تأملت الطرق الكلامية والمذاهب الفلسفية، فما وجدتها تروي غليلًا، ولا تشفي عليلًا، ووجدت أقرب الطرق طريقة القرآن**»، أيُعقل أن يُقال هذا؟ في آخر حياة الإنسان يكتشف أن أقرب الطرق طريقة القرآن، يعرفه أيُّ عاميٍّ من عوام المسلمين، «**ووجدت أقرب الطرق طريقة القرآن**»، هذه آخر حياته، بعد أن خاض في المذاهب الفلسفية، والمذاهب الكلامية، «**ووجدت أقرب الطرق طريقة القرآن**»، أقرأ في الإثبات: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [الفاتحة:١-٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠]، وأقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، هذا قول من؟ هذا قول السلف، الجمع بين النفي والإثبات، نثبت ما أثبت الله، وننفي ما نفى الله، ثم قال: «**ومن جرَّب مثل تجربتي؛ عرف مثل معرفتي**».

الذي يجرب تجربتي، ويصل إلى هذا المستوى؛ لأنه من أشهر المتكلمين حقيقة، خاض في بحور، وله مؤلفات في صفحات كثيرة، ثم قال مبيِّنًا حيرته:

[نِهَايَةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالُ ... وَأَكْثَرُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالُ]

[وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا ... وَغَايَةُ دُنْيَانَا أَذًى وَوَبَالُ]

[وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمُرِنَا ... سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا]

هذا الذي حصل له، قال أفلاطون، قال سقراط، قال أبو علي الجبائي، قال العلاف، وقال النظَّام، وهذا الذي حصَّلناه.

[وَلَـمْ نَسْـتَفِدْ مِـنْ بَحْثِنَـا طُـولَ عُمُرِنَـا ... سِـوَى أَنْ جَمَعْنَـا فِيـهِ قِيـلَ وَقَـالُوا]

[فَكَـمْ قَـدْ رَأَيْنَـا مِـن رِجَـالٍ وَدَوْلَـةٍ ... فَبَـادُوا جَمِيعـًا مُسْـرِعِينَ وَزَالُـوا]

[وَكَـمْ مِـن جِبَـالٍ قَـدْ عَلَـتْ شُـرُفَاتَهَا ... رِجَـالٌ فَزَالُـوا وَالجِبَـالُ جِبَـالُ]

النصوص باقية، جبال، يعلوها شخص ويتكلم، لكن هو سيزول وستبقى النصوص، الحق يبقى ويزول أهل الباطل، هذا ذكره في آخر كتبه، وعند موته أملى وصيةً، عسى الله أن يغفر الله لهم، ويعفو عنهم، ليس بين الإنسان وبين أولئك خصومة شخصية، نسأل الله أن يعفو عنهم، خاصة إذا أقبلوا وندموا، أملى وصية وهو على فراش الموت، يذكر فيها: أن كل قول خالف به قول السلف فهو راجع عنه، هذا في آخر حياته.

لهذا كان السلف، وكان العلماء الراسخون الذين يقولون: أقبلوا على القرآن والسنة، ودعوا هذه الضلالات؛ هم أهل الفقه الحقيقي، ولهذا الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمَّا أورد الذهبي في «**السير**» قوله: «**حكمي في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد، وأن يُطاف بهم في العشائر والأسواق، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام**»، قال: «**هذا لعله متواتر عن الشافعي**»، كثير تحذير الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الطرق الكلامية، لأنهم يصلون إلى هذا مثل ما ذكرت لك: ما دمت مستمسكًا بالنصوص؛ فعندك اليقين أنها لن تتعارض؛ لأنها من عند الله، لكن إذا كنت تارة تستمسك بنص في القرآن، وبنص في السنة، لكن تعود إلى مقالات الفلاسفة، ومقالات المتكلمين، ومقالات أهل من يسمَّون: بالكشف والذوق الصوفي؛ يحدث تذبذب، ويحدث من الإنسان خاصة في آخر حياته، يحدث عنده -بعد أن وقف على نهايات هذه العلوم- اضطراب.

ولهذا يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آخر «**الحموية**» في هؤلاء النظار، كلمات عظيمة جدًّا: «**أوتوا ذكاء، وما أوتوا زكاء، أوتوا علومًا، وما أوتوا فهومًا، أوتوا سمعًا وأبصارًا وأفئدة، فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء**»، من حيث الذكاء أذكياء، لكن ما فهموا حقيقة الأمر، حين كانوا ينظرون إلى هذه النصوص على أنها ليست بشيء، **أي**: لا يُكترث بها، ثم فاتهم أن الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ

ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [النحل:٤٤]، النبي ﷺ يبين العقيدة، ويبيِّن الأحكام، نصوصًا كاملة، فالمردُّ في فهم الاعتقاد إلى الله ورسوله ﷺ، أمَّا أن تُلتمس من هنا وهناك من طرق الضلال يزيغ بالإنسان، وتزل به القدم.

والشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر –حقيقةً– عن الخسروشاهي، وعن غيره من الذين حاروا هذه الحيرة، وندموا في آخر حياتهم، وأورد مقالاتهم، وأنهم ندموا على خوضهم في هذه البحوث الزائغة الضالة المخالفة لما كان عليه السلف الصالح، والخوض في مجالات الاعتقاد بما سموه هم: عقولًا، ممَّا هو محل النص الذي لا يُتلقى إلا من كتاب الله وسنة نبيه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

۞ قال المصنف: «والحوْضُ الذِي أكرَمَهُ الله تعالَى به –غِيَاثًا لأُمَّتِهِ– حَقٌّ».

الحوض –أيضا– روى أحاديثه نحوٌ من ثلاثين من الصحابة ﭫ، واعتنى بها المصنفون في كتب الاعتقاد المسندة، نؤكد على الإخوة: خذ لو كتابًا واحدًا من كتب الاعتقاد المسندة إذا تخرجت، وإن أمكنك –الآن– أن تقتني الكتاب فهو أفضل، لو كتاب واحد في مكتبتك من كتب الاعتقاد المسندة، **أي**: عندك «**الشريعة**» للآجري، الشريعة تطلق ويراد بها الأحكام، وتطلق ويراد بها الاعتقاد أيضا، وهو مراد الآجري، أو عندك «**شرح أصول اعتقاد أهل السنة**» للالكائي، كذلك «**الإبانة الكبرى**» لابن بطة الحنبلي، وغيرها من الكتب التي تروى العقيدة بالسند عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة، وعن التابعين ﭫ، فهذه الكتب على جانب عظيم من الأهمية؛ لأنها تروي العقيدة عن رسول الله ﷺ، وعن صحابته، وعن التابعين، وعن أئمة الإسلام.

فإذا وجدت أن هذا الاعتقاد الذي تقرِّره عليه قبلك أحمد والشافعي والسفيانان، بل سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، بل ابن مسعود، ابن عمر، ابن عباس، أبو بكر، عمر، عثمان، علي، تقول: اللهم احشرنا معهم، وأمِتنَا على هذا الاعتقاد، اعتقاد غيرهم من؟ مثل العلاف، النظَّام، ترجعون إلى من؟ من أستاذكم؟ قالوا: واصل بن عطاء، واصل بن عطاء الذي كان في حلقة الحسن البصري، فجاء رجل ليسأل الحسن عن صاحب الكبيرة، فبادر واصل –وهذا من قلة أدبه، لأن السؤال ليس له أصلًا، وإنما للحسن– فقال: «**صاحب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، لا هو بمؤمن، ولا هو بكافر**»، وانبعثت المعتزلة من هنا، لأنه اعتزل الحلقة، واجتمع عليه جملة من الأشقياء من أمثاله، فصاروا معتزلةً، نشأت

المعتزلة من هنا، ثم تفاقمت وتطورت وصارت مدارس، مدرسة البصرة، ومدرسة بغداد، وصار هم فيما بينهم خصام، هذا أصل انبعاث المعتزلة.

وهكذا بقية فرق الضلال، أنتم أيها الجهمية من إمامكم؟ تقول: الجهم بن صفوان، أهل السنة إذا قيل لهم من إمامكم؟ قالوا: إمامنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، فليس لهم إمام دون رسول الله ﷺ، والأئمة من بعده كأبي بكر، وعمر، والصحابة، هم أئمة على هدي رسول الله ﷺ، لكن الإمام الذي يتلقى منه أساسًا هو رسول الله ﷺ، ولهذا قلنا لكم: إن أهل السنة هم الذين اعتنَوا بأحاديث رسول الله ﷺ، الإمام الحقيقي لهم هو رسول الله، فأفنوا أعمارهم في جمع أحاديث رسول الله ﷺ، وتمييز صحيحها من سقيمها، لأنَّهم هم الذين على هدي رسول الله ﷺ سالكون.

لهذا أثبت أهل السنة الحوض، والمراد به: أن الناس في القيامة إذا وردوها يردونها عطاشًا، كما قال بعض السلف: يبعث الناس أشد ما كانوا جوعًا وعطشًا، فإذا أتى الناس والشمس تُدنى من الخلائق مقدار ميل واحد، ويسيخ العرق في الأرض سبعين ذراعًا، فأحب شيء لهم هو الماء، الحوض: هو مجمع الماء، وأخبر ﷺ بأن له حوضًا طوله شهر، وعرضه شهر، ماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج، وفيه أكواب بعدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا، أخبر ﷺ أنه تَرِدُه أمته، وأن في هذه الأمة من يذادون عن الحوض، ويُطردون عنه طردًا، وهم المرتدون، لهذا إذا سَأل عنهم قيل: «**إِنَّهُم لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِم مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ**»، هم ارتدوا بعد النبي ﷺ، وقاتلهم الصحابة رضي الله عنهم.

قال العلماء: وقد يُذاد عن الحوض من ليس بكافر، ممن أحدث بدعة وضلالة، فالحوض يُذَاد عنه كفارٌ صرحاء؛ كالمرتدين الذين ذُكروا في الحديث، ويُذَاد عنه من بدَّل بعد النبي ﷺ، لأن النبي ﷺ يَسأل عنهم، فيقال: «**إِنَّهُم لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ**»، فأقول: «**سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بدَّل بَعْدِي**»، فالتبديل -عياذًا بالله- بعد النبي ﷺ: بأن يعتقد عقيدة غير عقيدة رسول الله ﷺ، أو أن يُحدث حدثًا شديدًا يترتب عليه أن يُذاد عن حوض النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

هذا المراد بالحوض، وأورد الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ الأحاديث الواردة فيه.

قال المصنف: «والشفَاعَةُ التي ادَّخَرَهَا لَهُم حَقٌّ، كما رُوِيَ في الأخْبارِ».

أصل الشفاعة: هي أن ينضم إلى صاحب الحاجة آخر فيكونان شفعًا، هذا المراد بالشفاعة، أنت فرد واحد، فإذا شُفع لك، انضم إليك غيرك فصِرتُما شفعًا، هذا المراد بالشفاعة، الشفاعة لمن؟ لله ابتداء بنص القرآن، ليست لأحد، قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤]، فالشفاعة لله ليست لأحد، إذًا ما معنى شفاعة النبي ﷺ ؟ يأذن الله تعالى بالشفاعة، ولهذا قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، لأنها له سبحانه وتعالى، فلا تقع إلا إذا أذن، ولا يأذن فيها سبحانه وتعالى إذا ورد الناس القيامة، لا يأذن فيها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، يشتد بالناس الخَطب، ويعظم به الكرب، «**فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا بِنَا؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ**»، فنوح يُحيلهم –أيضا– إلى إبراهيم، وإبراهيم يُحيلهم إلى موسى، وموسى يُحيلهم إلى عيسى، وعيسى يُحيلهم إلى محمد صلى الله عليه وعليهم وسلَّم تسليمًا كثيرًا،وهؤلاء هم أولو العزم من الرسل، آدم قطعًا هو ليس من ضمن أولى العزم، لكن هو أبوهم، أتوا فقالوا: «**يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ**»، فهذه هي الشفاعة، ولا تكون إلا بعد إذن الله، إذا أتوا النبي ﷺ ، النبي ﷺ أعلم الخلق بالله، لا يشفع، يأتي فيخر ساجدًا يستأذن، لأنه لا تقع الشفاعة إلا بعد إذن، فإذا سجد ما شاء الله، جاء في النصوص: «**أَنَّهُ يَسْجُدُ** عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **سَبْتًا**»؛ أي: أسبوعًا كاملًا، ويفتح الله عليه بمحامد لم يكن يعلمها قبلُ، فيقال له: «**ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**»، هنا تأتي الشفاعة؛ لأنها لا تقع حتى يأذن الله بها.

ثم إن الشفاعة لا تكون إلا لمن ارتضاه الله، قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]، والله لا يرضى عن الشرك أبدًا، ولهذا روى البخاري: أن أبا هريرة رضي الله عنه سأل النبي ﷺ : «مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟ فقال: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»، فلا تكون للمشرك، ولهذا من ضياع الأعمار: أن يُشرك الإنسان شركًا يطلب الشفاعة، والشرك هو الذي يُبعده عن الشفاعة؛ لأن النبي ﷺ أخبر أن الشفاعة لا تكون إلا للمخلصين، لا تكون إلا لأهل الإخلاص، فالشفاعة لله عزوجل: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤]، أي: كما قال تعالى:

﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم:٤]، فالشفاعة لله، لكنه إذا أتى وقتها يأذن بها، فيشفع النبي ﷺ، وهذه هي الشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود الذي يحمده عليه الخلائق؛ لأن الله يأذن بفصل القضاء، فيقضي بين الناس بعد أن مكثُوا هذه المدة الطويلة في القيامة.

ذكر الشارح: أن للنبي ﷺ ثمانيَ شفاعات، فالحقيقة يطول بنا المقام لو فصَّلناها، فلعلك تراجعها في الشرح، وردَّت المعتزلة -كعادتهم في ردِّ نصوص الشفاعة- نصوص الشفاعة في أهل الكبائر، كما سيأتينا أن أهل الكبائر لا يُخلدون في النار وإن دخلوها، فيخرجون منها بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، فالمعتزلة تزعم أن من دخل النار لا يخرج منها أبدًا حتى لو كان من الذين في الدنيا يُحكم لهم بالإسلام؛ لأنهم يرون أن الكبيرة يُخلَّد صاحبها في النار، لأن المعتزلة خوارج، تكلمنا عن تداخل الفراق، المعتزلة أخذت من الخوارج مسألتين: مسألة الحكم على صاحب الكبيرة بأنه في النار مخلدٌ، وأخذت من الخوارج السيف على الأئمة، ولهذا قولهم وقول الخوارج واحد في هذين البابين.

نصوص الشفاعة تهدم مقالة الخوارج ومقالة المعتزلة؛ لأنه إذا قيل: إن صاحب الكبيرة يخرج من النار؛ فمعنى ذلك: أن صاحب الكبيرة لا يكفَّر كما تكفره الخوارج، ولا يكون كما زعمت المعتزلة في منزلة بين منزلتين، بل يُعذَّب ما شاء الله أن يعذَّب، ثم يخرج إلى الجنة، ويكون من أهل الجنة إذا أذن الله تعالى بالشفاعة.

وبه نعلم: أن الشفاعة التي كان يَجهَدُ لها الكفار في الجاهلية، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا﴾ [يونس:١٨]، فصار يُشرك بالله عند القبور وعند غيرها، يقول هؤلاء المشركون: نطلب الشفاعة، فيطلبون، فاطلب منك أنت يا طالب العلم أن تُفطِّن هذا المسكين الذي يريد الشفاعة، أن تقول له: الشرك أشد ما يُبعدك عن الشفاعة؛ لأن الشفاعة لا تكون إلا المخلص بشهادة رسول الله ﷺ: «مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟ فقال: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»، أنت الآن تُشرك وتريد الشفاعة؟ الشرك هو الذي يُبعدك عن الشفاعة.

لأجل ذلك: إذا عُرفت مسألة الشفاعة، وقررت التقرير الصحيح، وعرفها عوام المسلمين، وعوام هؤلاء الذين يقعون في الشرك؛ يزول الشرك، لأنهم يريدون الشفاعة، مرادهم بالذبح، والدعاء، وغيره، -

كما قلنا- القربى، ويريدون الشفاعة، فإذا قيل: هذا أبعد ما يقربكم من الله؛ لأنه شرك، ويُنئِيكُم ويُبعدكُم عن الشفاعة؛ لأنه شرك، أفاقُوا وانتبهُوا، لكن إذا سكت طلاب العلم، وسكت هذا على هذا يجامله؛ عاش هذا المسكين خمسين، ستين، سبعين سنة، وهو يشرك، وهذا يتفرج عليه، لو قلت لهذا الشخص الآن الذي يذبح للقبر: ما حكم فعله؟ هذا مشرك، وأنت تتفرج، كيف تتفرج عليه وأنت تعلم أنه مشرك؟ قل له كلمة من الحق؛ لعل الله تعالى أن يهديه بها، أو أن تقوم عليه الحجة، أمَّا أن تتركه هكذا يعيش كما عاش أبوه، وكما عاش جده في هذا التِّيه!!

ولهذا سيسأل الله تعالى طلبة العلم وأهل العلم عن هذه الأمانة، يقول النبي ﷺ لما ذكر عذاب -عياذًا بالله- من يُعذَّب في قبره: «**رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرْآنَ فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيلِ، وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ**»، إذا لم تعمل أنت بالعلم في خاصة نفسك، فما الفائدة التي استفدتها من العلم؟ حتى إنه ينام عنه بالليل؛ المقصود بنومه عنه بالليل: ليس قيام الليل، لا، ولكن -كما في اللفظ الآخر-: «**يَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ المَكْتُوبَةِ**»، كالذين ينامون عن صلاة الفجر، وهو طالب علم، يعلم أنه لا يجوز أن تُترك الصلاة حتى يخرج وقتها، فهذا ممَّن يُعذبون في القبر عياذًا بالله، كذلك هؤلاء المساكين تتفرج عليهم وهم يشركون، وربما كان بعضهم قريبًا لك، أو جارًا لك، ولو حدثته بهذا؛ لكنت كالذي أنقذه من غرق، وفرح بهذا، واتجه إلى التوحيد الصافي، وأبعد عن هذا، ولقال لك: لماذا تركتني هذه المدة الطويلة، وأنت قد آتَاك الله العلم، العلم يحتاج -أيها الإخوة- إلى بذل، وإلى بَثٍّ، تعمل به في خاصة نفسك، وقد قال ﷺ: «**لَنْ تَزُولَا قَدَمَا عَبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ**»، من ضمنها: «**عَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ**»، تتعلم فقط، وتأخذ شهادة وتذهب، المقصود بالعلم العمل، وهو إرث الأنبياء: «**وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**».

والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ -كما رأيت في الأحاديث التي ذكرناها لك في آخر حياته وسلم في آخر حياته وهو في النزع- يحذر من فتنة القبور عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولهذا -سبحان الله- التحذير من الشرك في القبور هذا معلم واضح، أي: الآن هذا يدعو، هذا من الدعاة، هذا عالم، هذا فقيه، المَعْلَم الذي يبيِّن لك هل هذا على بصيرة، أو على غير بصيرة: أن يهتم بما اهتم به رسول الله ﷺ، هذا الذي اهتم به ﷺ، حتى وهو في سياق الموت يحذر من فتنة القبور، وهذا سكت عن الكلام في فتنة القبور وهو يراها عن يمينه وعن شماله، ويستطيع أن يكتب، يستطيع أن يتكلم، يستطيع أن يوجِّه لو على

مستوى محدود، ولهذا يجعل الله تعالى الإمامة في الدين -الإمامة في الدين هذه مرتبة عظمى- لمن اهتم بما اهتم به رسول الله ﷺ، وقدَّم أمر الله على هوى نفسه، ماذا قال السحرة؟ ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ [طه:٧٢]، لا نؤثرك على الذي فطرنَا، هذا قول في الآية، قيل: إن ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ [طه:٧٢] قَسَمٌ، ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ [طه:٧٢] ؛ **أي**: ونقسم بالذي فطرنَا، قول آخر: لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات، ولن نؤثرك على الله الذي فطرنَا، بل سنقول الحق وإن أدَّى ذلك إلى قتلك إيانا، هذا الكلام مع فرعون يقوله السحرة.

في أحيان كثيرة يستطيع طالب العلم أن يتكلم ولا يصاب بشيء، ولا يضره شيء، أما موضوع أنَّه ستسقط منزلته عند الناس، وسيغضب عليه هذا، وسيتكلم عليه هذا، هذا سبيل الرسل عليهم الصلاة والسلام، لا بُدَّ أن يُجهدَ الإنسان، وأن يتعب الإنسان، وأن لا يجعل العلم أصلًا موضع رفعة، فإذا كان الإنسان ينظر هذه النظرة، يقول: لو كلَّمتهم ما بقيت على نفس مقامي عندهم، إذا أتيت رحَّبوا بي، وأدخلوني في صدر المجلس، أنت تبيع بالعلم وتشتري به، يقول ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، «**مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ**- **أي**: إذا جاء التفت الناس إليه، هذا طالب العلم، هذا العالم، هذا مراده -**فَهُوَ فِي النَّارِ**».

ما يصلح أن يكون العلم بهذه الطريقة، العلم ليس بضاعة، إذا أردت البضاعة اترك العلم، بِعْ واشترِ في البضائع، أمَّا العلم، لا، العلم أمانة، وأن يُترك هؤلاء المساكين يصل الواحد منهم إلى الثمانين، تتراعد يداه لا يعرف التوحيد وأنت بجانبه، سيسألك الله -تعالى- عن هؤلاء الناس، أدِّ ما يسر الله ما تستطيع، وبلِّغ ما تستطيع، ولا تنظر إلى مقامك ومكانتك عند الناس، بل انظر إلى مكانتك عند الله، رزقنا الله وإياكم الإخلاص.

❁ قال المصنف: «والميثاقُ الذي أخَذَهُ الله تعالَى مِنْ آدمَ وذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ».

تكلم أهل العلم على الميثاق، فإن الله -تعالى- يقول: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف:١٧٢]، قالوا: فهذا الميثاق على ذرية آدم وليس على آدم، قالوا: الآية في ذرية آدم، لكن جاءت نصوص على أخذ الميثاق على آدم، ولهذا قال: «**والميثاقُ**

الذي أَخَذَهُ الله تعالَى مِنْ آدمَ».

من أحسن من تكلم في هذه المسألة: العلامة: حافظ حكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في كتابه: «**معارج القبول**»، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**دلت النصوص -إذا جمعتها- على أن الله أخذ الميثاق من آدم، وأخذه من ذرية آدم، وهو المذكور في الآية**»، قال: «**وهناك ميثاق ثالث خاص بالأنبياء؛ وهو الوارد في قوله:** ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ﴾ [آل عمران:٨١] »، قال: «**هذا ميثاق ثالث، قال: ولا تعارض، فأخذ الميثاق على آدم، وميثاق على ذريته، وميثاق على الأنبياء خاصٌّ تحديدًا**».

❁ قال المصنف: «ونُؤْمِنُ باللَّوحِ والقَلَمِ».

والمقصود باللوح: اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه مقادير الخلائق، والقلم: هو الذي كُتبت به هذه المقادير في اللوح المحفوظ.

❁ قال المصنف: «والعرشُ والكرسيُّ حَقٌّ».

الشارح وضح المراد بقوله: وإن العرش ذكره الله –تعالى- في مواضع؛ كقوله تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج:١٥]، والعرش هو أعلى المخلوقات، قال ﷺ: «**فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ**»، سقف الفردوس الذي هو أعلى شيء عرش الرحمن؛ فدل على أن العرش أعلى المخلوقات، والعرش هو الذي استوى عليه جبار السماوات والارض.

وذكر الله استواءه عليه في سبعة مواضع من كتابه، فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، بدءًا من سورة الأعراف إلى سورة الحديد، ذكر الله –تعالى- استوائه فيها، وأصل العرش في اللغة: سرير الملك، واستواء الله –تعالى- على العرش استواءً يليق بجلاله وعظمته.

وقد فسر السلف الاستواء على العرش: بالعلو على العرش، أمَّا القول: بأن الاستواء هو الاستيلاء؛ فهذا ابتداع، وليس له أصل، ومن جميل ما قال علماء السنة للمبتدعة الذين حرَّفوا هذا التحريف، ولعلمك؛ الأشعري في كتابه الذي ألَّفه في آخر حياته، والذي هو حجة على أصحابه الأشاعرة اليوم، لمَّا

أتى إلى موضع الاستواء قال: «**إن الاستواء معناه العلو، والذي يقول إنه الاستيلاء هم الجهمية والحرورية والمعتزلة**»، حتى تعرف الفرق بين أبي الحسن الأشعري وبين الأشعرية الموجودين الآن، فإذا نظرت في كلام البيضاوي، كلام الرازي، كلام الجويني، كلام الإيجي، يقولون: الاستواء هو الاستيلاء، نقول: أبو الحسن حكم بأن هذا الكلام الذي أنتم تنتسبون إليه كلام الحرورية –**أي**: الخوارج في زمنه قطعًا–، والمعتزلة، والجهمية، مما يدل على مباينتكم ليس فقط لمذهب السلف، حتى انتماؤكم لأبي الحسن غير صحيح؛ لأن أبا الحسن يقرِّر أن مثل هذه التقريرات هي تقريرات المعتزلة، فتركتُم تقريرات أبي الحسن نفسه، وأخذتهم بتقريرات خصومهم المعتزلة والجهمية.

❁ **قال المصنف: «والكُرسيُّ حَقٌّ».**

والكرسي قيل: إنه هو العرش، والصواب أنه ليس العرش، وهو الوارد في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة:٢٥٥]، قال ابن عباس: «**الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله**»، لأننا قلنا: العرش هو أعظم المخلوقات، ولهذا قال تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر:١٥] ؛ لعظم شأن العرش، خبر ابن عباس هذا رواه الطبري وغيره، وهو ثابت عنه، وعن أبي موسى –أيضا– ﷺ، ولا يقال هذا من قبيل الرأي.

❁ **قال المصنف: «وهُوَ مُسْتَغْنٍ عَن العرشِ ومَا دُونَه».**

أي: ليس استواء الله على العرش استواءَ محتاج –معاذَ الله–، هو مستغن عن العرش، وعن كل شيء، هو الغني –سبحانه وبحمده–، وكل شيء فقير إليه، وإنَّما استوى استواءً يليق بجلاله وعظمته؛ بمعنى: أنه ارتفع عليه وعلا –سبحانه وبحمده–، وهو غير محتاج لا للعرش ولا لغيره.

❁ **قال المصنف: «وهُوَ مُسْتَغْنٍ عَن العرشِ ومَا دُونَه، مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وفَوْقَهُ».**

قلنا: إن هذا الموضع اشتد على المتكلمين الذين شرحُوا كلام الطحاوي؛ لأنهم لا يُثبتون العلو، هو –الآن– يُثبت أن الرب –سبحانه وتعالى– فوق العرش، وإذا كان فوق العرش؛ فهو في العلو –سبحانه وبحمده–.

❁ **قال المصنف:** «ونَقُولُ: إنَّ اللهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، وكَلَّمَ اللهُ مُوسى تكْلِيمًا».

مراده: إثبات صفة المحبة لله، قلنا: إن الخلة أعلى درجات المحبة.

❁ **قال المصنف:** «وكَلَّمَ اللهُ مُوسى تكْلِيمًا».

مراده: إثبات أن الكلام يُثبت لله حقيقة، وكلتَا الصفتين: المحبة والكلام تنفيها طوائف المتكلمين من المعتزلة والجهمية والأشعرية، والماتريدية، ينفون هذا، ينفون عن الله تعالى هاتين الصفتين، فأثبتهما -رَحِمَهُ ٱللَّهُ - على ما وردتا في القرآن، وأخذ لفظ القرآن وحكاه حكاية في نفس العقيدة: «**إنَّ اللهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً**»؛ **أي**: قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥]، أخذ من نفس الآية، إشعارًا بأنه متابع للقرآن في هذه المسألة، ثم أورد الآية: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾، قال: «**وكَلَّمَ اللهُ مُوسى تكْلِيمًا**»، **أي**: أنه يأخذ هذه الصفات من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

❁ **قال المصنف:** «ونؤْمنُ بالملائكَةِ والنَّبيين والكُتُبِ».

ذكر أركان الإيمان، وهذه الأركان -أركان الإيمان- معلومة، فالملائكة خلق من خلق الله عَزَّوَجَلَّ، مطيعون لله- تعالى-، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [النحل:٥٠]، ولهم أعمال، ولهم صفات وردت في النصوص، تكلم أهل العلم عن الفرق بين النبي والرسول، فمنهم من يقول: إن النبي من أُوحي إليه بشرع، لكنه لم يؤمر بتبليغه، والرسول أُوحي إليه بشرع، لكنه أُمر بتبليغه، والذي يظهر -والله أعلم- هو القول الثاني: وهو أن النبي لا بُدَّ أن يُبعث، كما أن الرسول يُبعث، فهو أُوحي إليه بشرع ليبلِّغ، وهذا الذي قرره شيخ الإسلام في كتاب «**النبوات**»، واستدل بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ [الحج:٥٢]، الآية، قال: «**فذكر إرسالًا يعم النوعين**: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج:٥٢] ؛ **فدل على أن النبي يُرسل كما أن الرسول يرسل**»، قال: «**لكن الفرق: أن الرسول يبعث إلى مخالفين، مثل نبينا** ﷺ **بُعث إلى مخالفين كفار، قال: أمَّا النبي فإنه يكون تابعًا لرسول قبله، فهو يأتي إلى مؤمنين؛ كأنبياء بني إسرائيل**»، وقال: «**إن شريعة التوراة كان يحكم بها الأنبياء**»، شريعة التوراة نزلت على موسى، وموسى نبيٌّ؛ لأنه أُرسل إلى فرعون، فموسى رسول، قطعًا كل رسول نبي،

ليس هناك إشكال، إذا كان رسولًا فهو نبي، لكن النبي -أيضا- رسول، لكن لا يُطلق عليه الإرسال العام؛ لأنه يكون مرسلًا إلى مؤمنين، يقول: «**فكأنه المجدد لدين نبي قبله**»، واستدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾ [المائدة:٤٤]، والتوراة مُنزلة على مَن؟ على موسى، قال: «**فدل على أن الأنبياء يكونون تابعين لرسول قبله**»، وهذا الذي يظهر، وهو الأقرب على دلالة الكتاب والسنة، وإن كان القول الأول شهيرًا: أن النبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، والرسول أُوحي إليه وأمر بتبليغه، لكن مثل ما ذكرنا: أن القول الثاني هذا تدل عليه النصوص.

الأنبياء والملائكة جميعًا منهم من نعرفه باسمه، ومنهم من لا نعرفه، وإنَّما علمه عند رب العالمين، فمن أسماء الملائكة التي علمناها: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك، ومنهم من لا نعرف اسمه، فنؤمن بهم إجمالًا، ولا يحيط بكثرة الملائكة إلا الله، الملائكة كُثُرٌ، ذكر ﷺ البيت المعمور قال: «**ثُمَّ رُفِعَ لِيَ البَيْتُ المَعْمُورُ، وَإِذَا بِهِ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعونَ أَلْفَ مَلَكٍ**»، كل يوم، هؤلاء السبعون لا يدخلونه ثانية؛ لأنه تأتي نوبة سبعين ألفًا آخرين، الحديث في البخاري، هكذا الأنبياء؛ قال تعالى: ﴿مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ﴾ [غافر:٧٨]، ذكر الله خمسة وعشرين نبيًّا في القرآن، منهم من لا نعرف خبره، كيف نؤمن به؟ نؤمن به إجمالًا، ما معنى إجمالًا؟ **أي**: نؤمن أن لله أنبياء وملائكة لا نعلمهم، ومن عرفناه من الأنبياء أو الملائكة نؤمن به باسمه، وهكذا كل تفصيل عنه، فنعلم أن جبريل موكَّل بالوحي، وأن إسرافيل موكَّل بالنفخ في الصور، وميكائيل موكَّل بالقطر، وأن من أنبياء الله -تعالى- موسى، وعيسى، وأن موسى أُنزلت عليه التوراة، وعيسى أُنزل عليه الإنجيل، والزبور أُنزل على داود، وسيدهم وإمامهم محمد ﷺ أُنزل عليه القرآن، فنؤمن بهم بحسَب ما وردنا، أمَّا من لم يقصَّهم الله علينا؛ فإنَّا نؤمن بهم إجمالًا، نفس الوضع بالنسبة للكتب؛ الكتب منها ما سُمِّي: كالتوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، ومنها كتب لم تُسمَّ لنا، ولهذا قال تعالى: ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ﴾ [الشورى:١٥]، أي كتاب أنزله الله حتى وإن لم نعرف اسم الكتاب، أو اسم الرسول الذي أنزل عليه، نؤمن به إجمالًا.

قال المصنف: «ونُسمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمينَ مؤمِنينَ».

أهل القبلة؛ لأن المسلم يصلي، ولهذا يسمَّى المسلمون: بأهل القبلة؛ لأنهم يتجهون إلى القبلة، أيضا يسمَّى المسلمون: بأهل الصلاة؛ لأن الصلاة معلَم من معالم المسلمين فهم يصلون، لهذا قال: «**نسميهم مسلمين**»؛ **أي**: لا نطلق عليهم اسمًا غير اسم الإسلام؛ مثل: الشرك، والكفر، إلا من صار عنده ردَّةٌ فكفر، أو تلبَّس بشرك فأشرك، والمقصود: كفر كفرًا أكبر، أمَّا لو وقع في كفر أصغر، أو في شرك أصغر؛ فإنه يسمى مسلمًا، كمن يحلف بغير الله، إذا حلف بغير الله؛ فالأصل أن الحلف بغير الله –تعالى– شرك أصغر، كما قال ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ**»، المقصود: الشرك الأصغر، فنسميه مسلمًا، أمَّا إذا وقع منه ما يخرجه من الملة بالكلية؛ كأن يجحد الجنة والنار واليوم الآخر؛ فهذا يكون كافرًا في هذه الحالة، لا نقول: إنه مسلم، وهكذا من صرف العبادة لغير الله عَزَّوَجَلَّ؛ كأن يذبح لغير الله، أو أن يدعو غير الله؛ فإنه في هذه الحالة يسمى مشركًا، ولا يكون مسلمًا.

قال المصنف: «ولا نُكَفِّرُ أَحَداً مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ».

الشارح تعقَّب على هذا الموضوع، أولًا: يقول: لا نكفرهم بكل ذنب كما تفعل الخوارج، كالذين يكفرون بالفواحش، والسرقة، ونحوها؛ فهذه بإجماع أهل السنة لا تكون كفرًا، لكن القول: لا نكفر بذنب مطلقًا، يدخل في هذا ترك الصلاة؛ لأن ترك الصلاة ذنب، ولهذا الإمام أحمد لمَّا ذُكر له: أنَّا لا نكفر أحدًا بذنب، قال: «**اسكت، ترك الصلاة كفر**»، يقول: لا تُطلق هذا الإطلاق، ولهذا قال الشارح: الصواب أن يقال: لا نكفرهم بكل ذنب كما تفعل الخوارج، الخوارج تقول: من شرب الخمر؛ كفر، من زنا؛ كفر، من سرق؛ كفر، لأنهم يكفرون بكل ذن.

قال المصنف: «مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ».

الكفر لا شك أنه يكون بالاستحلال القلبي، ولكن الكفر ليس مقصورًا على الاستحلال، فيكفر الإنسان كما قال تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ [التوبة:٧٤]، لأنهم استهزءُوا بالنبي ﷺ، فالمنافقون لمَّا استهزءوا برسول الله ﷺ؛ أنزل الله تعالى كفرهم: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ ﴾ [التوبة:٦٦]، فإذا نطق بكلمة كفر؛ كأن يسب رسول الله –والعياذ بالله– عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أو أن يهزأ به، أو أن يسب الله، أو يهزأ بالله، وهو في وعيهِ، ليس مجنونًا، وهو غير مكْرَهٍ؛

لا شك أنه يكفر، فإذا قال: ما الذي يُطلعك على قلبي؟ يمكن أني قلت هذه الكلمة وأنا أمزح، ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم﴾ [التوبة:٦٥-٦٦]، بنص القرآن، فمن استهزأ بالله أو برسوله؛ فإنه كافرٌ بنص القرآن، فإذا قال: قلبي محب لله ورسوله، وأنا لا أقصد، نقول: هذه الكلمة كفر: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة:٧٤]، فالكفر كما يكون بالاستحلال القلبي، وكما يكون بالتكذيب القلبي، الاستحلال المقصود: أن يستحلَّ ذنبًا معلومًا من دين الله؛ كأن يستحل شرب الخمر، فيكفر بالإجماع، لكن الكفر ليس مقصورًا على القلب، بل إذا نطق بسب الله ورسوله ﷺ، أو أنكر أمرًا معلومًا من دين الله- تعالى- بالضرورة؛ كأن ينكر اليوم الآخر، والجنة، والنار؛ لا شك أنه يكفر، وهكذا لو أنه سجد لغير الله عَزَّوَجَلَّ، أو ذبح لغير الله عَزَّوَجَلَّ؛ فإنه في مثل هذه الحال يكون مشركًا، المقصود: أن هذه العبارة قيَّدها الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

❁ قال المصنف: «نَرْجُو للمُحْسِنينَ مِنَ المؤْمِنينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُم ويُدْخِلَهم الجَنَّة بِرَحْمَتِهِ، ولا نَأْمَنُ عَلَيْهِم، ولا نَشْهدُ لهم بالجَنَّة، ونَستَغْفرُ لِمُسِيئِهِم، ونَخَافُ عَلَيْهِم، ولا نُقَنِّطُهُم».

المسلمون منهم من هو محسن، وذلك بحسب الظاهر لنا، ولا نحكم إلا بالظاهر، ومنهم من هو مسيء ظالم لنفسه بالمعاصي، فالمحسن لا نقطع له بالنجاة، ولكن نرجو له رجاءً فقط، وإن كان عمر بن عبد العزيز؟ نعم؛ لأنه لا بُدَّ لنا من نصٍّ ثابت عن النبي ﷺ حتى نشهد لهذا المعين بأنه ناجٍ، إذ مصير الخلائق إلى الله تعالى، فالمحسن الذي يظهر منه لزوم سنة النبي ﷺ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والعمل الصالح، وحسن التعامل مع الناس؛ هذا محسن، نرجو له.

❁ قال المصنف: «ولا نَأْمَنُ عَلَيْهِم».

لا نأمن عليه الزيغ في الدنيا -نعوذ بالله-، ولا نأمن عليه -أيضا- شدة الحساب في الآخرة؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْكُم الجَنَّةَ بِعَمَلِهِ**»، فالأمر ليس مردُّه على العمل، ولا على ما يظهر من إحسان الإنسان لعمله، بل المردُّ إلى رب العالمين الذي هو أعلم بالخلائق.

❁ قال المصنف: «ولا نَأْمَنُ عَلَيْهِم، ولا نَشْهدُ لهم بالجَنَّة.... ونَخَافُ عَلَيْهِم، ولا نُقَنِّطُهُم».

نخاف على المسيء، والمتظاهر بالمعاصي، لكن لا نؤيِّسُهم من رحمة الله، حتى وإن كان صاحب فاحشة، وإن كان صاحب خمور، أو غيرها، من عصاة المسلمين، نخاف عليه خوفًا أن يعاقبه الله، وأن

يُدخله النار، لأن الله توعد من فعل هذا، لكن هو بعينه لا ندري مصيره؛ لأن الله يمكن أن يغفر له: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨] -سبحانه وتعالى-، ويأتينا -إن شاء الله- الكلام على أصحاب الكبائر عمومًا.

بعد ذلك ذكر الطحاوي مسألة الإيمان، وهي مسألة تحتاج إلى شيء من البسط والتطويل؛ لأنه قرَّرها -غفر الله له، وعفا عنه- على نفس التقرير الذي قرره في أول الرسالة؛ لمَّا قال: إنَّه يقرر هذه العقيدة على ما قرَّره أبو حنيفة، وأبو يوسف، ومحمد بن الحسن، غفر الله لهم ورحمهم، بعض الناس جالس لأبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن مضت هذه القرون المتطاولة ليسبَّ، وليتكلم، أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ من علماء المسلمين، فإذا هو وقع منه شيء من المخالفة حُدِّدت المخالفة وبُيِّنت، ولم تُهدر حسناته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهو إمام من أئمة المسلمين، فقيه من فقهائهم، وسيأتي -إن شاء الله- الآن ما لعله أفضل نوع في الدفاع عنه، لكن بطريقة علمية لا عاطفية، لأنه إذا أخطأ أحد من أهل العلم؛ فإن الخطأ لا يمكن أن تقول: ليس بخطأ، الخطأ في نفسه خطأ، لكن سيأتيك -إن شاء الله تعالى- موضع نفيس جدًّا ذكره الطحاوي وذكره ابن عبد البر يتعلق بموضوع الإيمان عند أبي حنيفة.

أبو حنيفة -غفر الله له- يقرر ما قرَّره شيخه حماد بن أبي سليمان: من أن الإيمان قول واعتقاد فقط، وهذا أمر فشَا وانتشر في فقهاء الكوفة، ولهذا سُمِّيَ هذه الإرجاء: بقول مرجئة الفقهاء، وهو أخف أنواع الإرجاء.

أوَّلًا: نحتاج أن نبيِّن الاعتقاد الحق.

قال المصنف: «والإيمانُ: هو الإقْرارُ باللِّسانِ».

أي: بنطق اللسان فقط.

قال المصنف: «والتصديقُ بالجَنَانِ».

أي: بالقلب.

بقي الأمر الذي أجمع عليه السلف: وهو العمل، فإن الإيمان قول واعتقاد وعمل، وهذا مما أجمع عليه أهل السنة، وحكى الإجماع غير واحد قبل أبي حنيفة، وبعد أبي حنيفة، وهو شعار معروف عند

أهل السنة، فحكى الإجماع الأوزاعي، وحكاه الزهري، وهم قبل أبي حنيفة، وحكاه الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب «**الأم**»، وهو بعد أبي حنيفة، وحكاه أحمد، وحكاه البخاري: «**أن الإيمان قول** -يعني باللسان-، **واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح**»، ثم -سبحان الله العظيم- أنا أعجب من هذه المقالة: أن العمل ليس من الإيمان، ماذا يقول النبي ﷺ في الطَّهُور، في صحيح مسلم؟ «**الطَّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ**»؛ **أي**: نصف الإيمان، وهل هناك شيء نصفُه ليس منه، «**الطَّهُورُ** -نصف- **شَطْرُ**»، النصف يقينًا، بقي نصف آخر، فكيف يكون النصف ليس من حقيقة شيء؟ لكن نقول: غفر الله لمن أخطأ من فقهاء الكوفة وعفا عنه،ويبقى الخطأ خطأً، ولا يُجامل فيه أحد.

فلذلك قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ثم كان الإجماع من أصحاب رسول الله** ﷺ **والتابعين ومن لقينا: أن الإيمان قول وعمل ونية، لا يُجزي واحد منها عن الآخر**»، لا بُدَّ من العمل، لا بُدَّ من نطق اللسان، لا بُدَّ من اعتقاد القلب، جاءت شبهة عند المرجئة: وهي أنهم يقولون: إن الله تعالى قال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ﴾ [البقرة:٢٧٧]، فعطف العمل على الإيمان؛ فدل على أن العمل غير الإيمان، هذا التقرير لا ينبغي أن يُقال؛ لأن العطف وإن اقتضى المغايرة، فالمغايرة على كم مرتبة؟ أربع مراتب:

المرتبة الأولى: مرتبة المباينة: أن يكون ما قبل الواو مباينًا لما بعدها: ﴿خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:١٦٤]، هذه مباينة، الأرض غير السماوات، لكن هناك نوع من العطف؛ وهو عطف الشيء على نفسه: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [الأعلى: ١-٢]، ماذا بعده؟ من هو ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ ؟ أهو غير الله؟ معاذ الله، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤﴾ [الأعلى:٢-٤]، هذا العطف ما هو؟ لماذا عُطف؟ لاختلاف الصفات، لكن كلها معطوفة على شيء واحد هو الله، ولهذا جرت مناظرة لطيفة جدًّا للشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع أحد المرجئة، فجاء وسأل الشافعي وقال له: ما تقول في الإيمان؟ قال الشافعي: ما تقول أنت؟ قال: أقول: إن الإيمان قول، والعمل شرائطه، العمل ليس داخل الإيمان، قال: ومن أين قلت ذلك؟ قال: من قوله تعالى ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ﴾، فعطف العمل على الإيمان، ماذا قال الشافعي؟ فإذا كنت تعبد ربَّيْنِ؛ ربًّا في المشرق، وربًّا في المغرب؛ لأن الله يقول: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن:١٧]، قال -سبحان الله-: جعلتني وثنيًّا؟ قال: أنت جعلت نفسك وثنيًّا بقولك: إن الواو فصل؛ **أي**: أنك تلتزم أن الواو فصل، أن ما قبلها غير ما بعدها، لأن من العطف أن يُعطف الشيء

على نفسه، ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن:١٧]، هل رب المغربين غير رب المشرقين؟ معاذ الله، لكن ربوبية الله للمشرقين، وربوبية الله للمغربيين، فأفاق الرجل، قال -سبحان الله-: جعلتني وثنيًّا؟ قال: أنت جعلت نفسك وثنيًّا، قال: فخرج من مصر سنيًّا، أفاق الآن، انتبه إلى أن قوله: ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ﴾: أن العمل غير، العطف يقتضي المغايرة، والمغايرة على مراتب أربع، منها: المباينة: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾، الإنجيل غير التوراة، هذه المباينة؛ **أي**: ما بعدها مباينٌ لما قبلها، لكن هناك عطف للشيء على نفسه، فقولك: ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ﴾؛ **أي**: أن العمل مباين، معاذ الله، بل العمل من الإيمان، كقوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [الأعلى:١-٣]، فعطفه ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ على ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾، وهو الله سبحانه وتعالى، فاستمسكوا بكلمة: أن الواو تقتضي العطف، وأن ما بعدها مغاير لما قبلها، وفي بعض الأحيان يُعطف الشيء من باب عطف الخاص على العام: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة:٢٣٨]، الصلاة الوسطى: هي العصر، هل الصلاة الوسطى ليست من الصلوات؟ بلى، لكنها أُكِّدَ عليها على سبيل التأكيد على مقامها العظيم، وإلا فهي من الصلوات.

الحاصل أن هذه الشبهة وجدت عند المرجئة، وهي مردودة في الحقيقة، الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ -ابن أبي العز- لمَّا كان من الحنفية، أراد أن يجمع قدر المستطاع -في نظره- بين الأقوال في هذه المسألة، وقال: إن الاختلاف الذي بين السلف وبين أبي حنيفة -رحم الله الجميع- صوريٌّ، **أي**: لا يترتب عليه، لأن أبا حنيفة يؤكد على العمل، ويوجب العمل، ويقول: إن الواقع في الكبيرة معرض للوعيد، وأنه متهدَّد بدخول النار، كقول أهل السنة تمامًا، يقول: لم يترتب عليه شيء كبير، لا شك أن هذا كلام مستدرك؛ لأنه خلاف حقيقي، السبب في كون الخلاف حقيقيًّا وليس صوريًّا: أن تغيير حقيقة شرعية من كون الإيمان قول واعتقاد وعمل لأن يُقال: إن الإيمان قول واعتقاد فقط؛ لا شك أن هذا تغيير للحقيقة الشرعية، ولا يحل تغيير الحقائق الشرعية، لهذا الشارح -لو تتأمل في شرحه- عاد وانتقد مذهب المرجئة، لكن بطريقة لطيفة، وقلنا لكم: الشارح مع ذلك امتُحن، لهذا ذكر الشارح: أن هذه المسألة -وهي الخلاف بين مرجئة الفقهاء وبين السلف- يترتب عليها مفاسد:

❍ **منها**: أنها تكون ذريعة لظهور الفسق، فلا يبالي الواقع في هذا بما يكون منه من المعاصي، ويقول: أنا مؤمن كاملُ الإيمان، قال: وصارت ذريعة لقول غلاة المرجئة الذين يزعمون أن الإيمان مجرد

التصديق، هذا منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ عودٌ على المسألة، ليقول: إن الخلاف في الحقيقة قوى، وليس مجرد خلاف صوري.

ثمَّ لمَّا عرض وجهة أبي حنيفة قوَّى وجهة السلف بشكل جليٍّ لمن تأمل مراده، قال: إن أبا حنيفة لما عرَّف الإيمان شرعًا نظر لحقيقة الإيمان لغة، فيه إشكال هنا أم لا؟ هنا فيه أشكال، إذا أردت أن تعرف الحقيقة الشرعية، فالحقيقة اللغوية مساندة، لكنَّك تنظر إلى الحقيقة الشرعية في نصوص الشرع نفسه، **أي**: عندنا الصلاة ما معناها في اللغة؟ الدعاء، إذا جاء المغرب ندعو دعاءً فقط؟ لا، الصلاة في الشرع حقيقتها الشرعية تختلف عن عموم الإطلاق اللغوي،ولهذا هذا منه تأييد لقول السلف على أبي حنيفة، لهذا قال: إن أبا حنيفة لمَّا عرف الإيمان شرعًا نظر لحقيقة الإيمان لغة، وضمَّ إليه أدلة شرعية، أمَّا بقية الأئمة فنظروا لحقيقة الإيمان في عرف الشارع؛ **أي**: يقول: إن انطلاق أئمة السنة هو الصواب؛ لأنهم نظروا لحقيقة الإيمان في العرف الشرعي نفسه، لا في المعنى اللغوي، لأن المعنى اللغوي عام، **أي**: نعرف من اللغة ما المراد بالحج، الحج: هو القصد، قصد ماذا؟ هذا في اللغة، في العموم، لكن في الشرع: هو قصد أماكن مخصوصة، في زمن مخصوص، وتُعمل أعمال مخصوصة، أما مجرد القصد فليس هو الحج؛ لأن هذا حج في اللغة عمومًا، فيقول: إن المتعين أن ينظر إلى حقيقة الإيمان في عرف الشرع لا في الإطلاق اللغوي.

۞ قال المصنف: «وأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَواءٌ».

أي: أهل الإيمان في أصله سواء، أنهم مستوون، لا زيادة ولا نقصان من جهة حقيقة الإيمان في قلوبهم، ولا شك أن هذا باطل؛ لأن الإيمان يزيد وينقص، وإذا قيل: «**وأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَواءٌ**»: معنى ذلك: نفس هذا مقولة مرجئة الفقهاء، **أي**: أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، ولا شك أن الزيادة والنقصان دلَّ عليها النصوص، ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر:٣١]، والشيء الذي يزداد كان قبل الزيادة ناقصًا، ولهذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النساء: «**مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِلُبِّ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ**»، فذكر نقص الدين، ولما طلبنا ما المراد بنقص الدين؟ ذكر أنه تبقى المرأة شطر حياتها لا تصلي؛ **أي**: إذا أصابها الحيض، ولا تصوم، وهكذا قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيما ثبت عنه من غير وجه: من أن الله- تعالى- يأذن بالشفاعة لمن في قلبه مثقال ذرة من إيمان، مثقال ذرة من إيمان؛ **أي**: ليس في قلبه إلا شيء يسير جدًّا من الإيمان، هل إيمان هذا مثل إيمان أبي بكر؟ أو مثل إيمان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ معاذ

الله، إذًا الإيمان يتفاوت في القلب، فالإيمان يتفاوت في القلب، يقين هذا ليس كيقين هذا.

❍ **فلأجل ذلك:** قوله: «**وأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَواءٌ**» ليس بصواب، الشارح حاول أن يوجهه، لكن أورد ما جاء من النصوص عن الصحابة ﷺ في أن الإيمان يزيد وينقص، وتعقب الشارح لمَّا تكلم عنه الصحابة، وقال في باب الصحابة: «**وحبهم دين وإيمان**»، قال: أرأيت يا طحاوي! رحمك الله، وعفا عنك، حب الصحابة إيمان، وأنت تقول: «**وأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَواءٌ**»، مجرد اعتقاد القلب، فأطلقت على الحب الذي هو عمل قلبي أنه ايمان، إذا كان العمل القلبي يدخل في الايمان؛ فعمل الجوارح يدخل في الايمان، هذا عمل قلب، وهذا عمل جوارح، لكن مثل ما ذكرنا: يستصعب أن يتعقب بشكل جلي، لكن لمَّا جاء الى هذا الموضع الحقيقة توسع في ذكر الأدلة التي يوردها المرجئة في دعواهم: أن الإيمان هو مجرد التصديق، وهو الذي صار عليه المرجئة الغلاة، وردَّه ردًّا قويًّا، وأورد قصة من أهم القصص، وهي أحسن ما يجاب به في موضوع أبي حنيفة -غفر الله له-، حتى أن بعضهم قال: إن هذا رجوع من أبي حنيفة عن قوله -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-، وذلك أن أبا حنيفة ناظره حماد بن زيد، يقول حماد: فقلت وقال، وقلت وقال، حتى قلت له: إن رسول الله ﷺ سُئل عن أفضل الإيمان فقال: «**الهِجْرَةُ وَالجِهَادُ**»، قال حماد: ألم تَرَهُ جعل الهجرة والجهاد من الإيمان، وهما عمل، فسكت أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذا يدل على ورعه، فقال له بعض أصحابه: يا أبا حنيفة أجبه -لأن مقام المناظرة إذا سكت فيه يضعف-. قال: تريدني أن أجيبه وهو يحدثني بهذا عن رسول الله ﷺ ، **أي**: ما أستطيع أني أردُّ الآن، كان يقول وأقول، يقول وأقول، كما قال حماد بن زيد، ردَّ عليه أبو حنيفة، فلما قال: إن النبي ﷺ قال: «**أَفْضَلُ الإِيمَانِ الهِجْرَةُ** -والهجرة عمل-، **والجِهَادُ**»، سكت، لو رددت الآن رددتُ على رسول الله ﷺ ، وهذا فرق بين المعاند على غير بصيرة، وبين العالم إذا قال قولًا ثم نُبِّه عليه، لأن بعضهم عدَّ هذا نوعًا من الرجوع، قال: لمَّا أتاه الحديث عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ توقف، قال: كيف أرد على رسول الله ﷺ ؟ ما دام النبي ﷺ جعل الهجرة والجهاد من الإيمان، وهما عمل؛ فلا أستطيع أن أتكلم.

هذه الحقيقة من أحسن ما يُجاب به عنه -غفر الله له ورحمه-، وهو من علماء المسلمين، ومن فقهائهم، وهو في بقية أصول الدين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- المعروف عنه أنه على نفس قول السلف، في هذه المسألة مثل ما ذكرنا عنده، أمَّا في موضوع الصفات، في موضوع الصحابة، في موضوع القدر؛ هو على قول

السلف، هذا هو المعروف عنه -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-.

الثالث والرابع يطول بنا، ارجع لها في عطف الشيء عن نفسه، وعطف الشيء على بعضه، وعطف المباينة، وعطف اللزوم: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء:٥٩]، هل طاعة الرسول غير طاعة الله؟ ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء:٨٠]، هذا عطف ملازمة، فطاعة الرسول ملازمة لطاعة الله، وفصَّلها رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وذكر عليها الأمثلة في شرح الطحاوية، هذا كتابنا، شرح الطحاوي لابن أبي العز.

نقف -إن شاء الله-.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).

(١) نهاية الدرس الثالث.

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ:

تكلم الشارح- رَحِمَهُ ٱللَّهُ- على قول الماتن: «**وَالْإِيمَانُ: هُوَ الْإِيمَانُ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ**».

قال: هذا تعريف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإيمان الوارد في حديث جبريل وهو معروف.

ثم تكلم الماتن عن أهل الكبائر فقال: «**وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **...، بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللهَ تَعَالَى عَارِفِينَ**» تكلم عن مصيرهم.

أوضح الشارح- رَحِمَهُ ٱللَّهُ - أولا الكلام في صاحب الكبيرة والمقصود بصاحب الكبيرة، الكبيرة سميت بالكبيرة لأنها تختلف عن الذنب الصغير، فالذنوب منها صغار ومنها كبار ورد قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]، فمن الذنوب- أعاذنا الله منها كلها- ما هو كبائر وأكبر الكبائر على الإطلاق كما في الحديث: «**الشِّرْكُ بِاللهِ**»، فالشرك كبيرة لكنه أكبر الكبائر، فالكبائر منها ما هو شرك ومنها ما هو دون ذلك، مما يفعله المسلم، وإذا قيل أهل الكبائر فالمقصود أهل الكبائر من الأمة الذين ليس عندهم شرك، وليس المقصود مطلق الكبائر، لأن الله تعالى فرق بين الكبائر وبين الذنوب التي هي دونها.

❍ تكلم أهل العلم رحمهم الله تعالى عن حد الكبيرة ما الفرق بين الكبيرة والصغيرة؟

منهم من قال: إن كل ذنب عُصي الله به فهو كبيرة، وهذا غير صحيح؛ لأن الله فرّق، فقال: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]، فدل على الفرق، وأهل الغفلة- عياذ بالله- إذا قرءوا كتابهم في القيامة قالوا: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩]، فمن الذنوب لا شك ما هو من الكبائر وجاءت النصوص عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بتسمية بعضها، ومنها السحر والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات، في حديث: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ**

المُوبِقَاتِ» المعروف وجعل منها الشرك، لأن الشرك كبيرة؛ لكنه أكبر الكبائر لا يغفره الله إذا لقي العبد به ربه وهو لم يتب.

أما إذا مات الإنسان على كبيرة لم يتب منها كان يموت- نسأل الله العافية والسلامة- وهو يزني، ولم يتب إذا تاب لا يسمى من أهل الكبائر هذا يسمى تائبا، إنما الكلام على من يموت- عياذ بالله- وهو على ذنبه مُصِرّ، وإذا قيل المُصر فهو مُصر على فعله مع تخطيئته لنفسه ويعلم أنه مخطئ وأنه آثم، لكنه- والعياذ بالله- غلبت عليه شهوته.. فهؤلاء بنص القرآن تحت مشيئة الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، فبين تعالى أن الشرك غير مغفور- عياذ بالله- كما قال عيسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ- فيما ذكر الله تعالى في كتابه-: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾ [المائدة: ٧٢]، فالذي يلقى الله بالشرك هذا يهلك ويكون من أهل النار خالدا فيها، لا تناله شفاعة ولا تناله رحمة الله- نعوذ بالله-؛ لأن الله قنطة من رحمته ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي﴾ [العنكبوت: ٢٣] نسأل الله العافية والسلامة، يأس من الرحمة، لقي الله كافرا كفرا أكبر أو على الشرك الأكبر هذا قد يأس من رحمة الله- نعوذ بالله-.

إذا يبقى الكلام فيما دون الشرك من الذنوب، أهل الكبائر تحت مشيئة الله بنص القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، فبين أن الغفران لمن شاءه سبحانه، وثبت في النصوص غفران الله لأناس من أهل الكبائر من موحدين كما في حديث المرأة البغي من بني إسرائيل التي غفر الله تعالى لها ذنبها بسقيها كلبا فقام بقلبها ما علمه الله- عَزَّوَجَلَّ- فتلقاها الله برحمته، أي: أن الله إذا أراد أن يغفر لصاحب كبيرة مات عليها من يمنع الله! ما أحد يمنع رب العالمين، هؤلاء عبيده والحق حقه- سبحانه وتعالى- والأمر إليه، ولهذا قال: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، لكن لا شك أن أهل الكبائر يدخل عدد كثير منهم النار بنص القرآن وبنص السنة، فلا يأمن أحد أبدا أن يدخل النار بسبب كبيرته، لأن الكبائر هي عظائم الذنوب.

تكلم العلماء عن حدِّ الكبيرة ومن أحسن من حدَّ الكبيرة من قال إنها من اسمها كبيرة والكبيرة هي التي يعظم عند الله تعالى خطبُها، فيتبعها الله تعالى بوعيد، من لعن أو وعيد على دخول النار أو أن يجعل الله- عَزَّوَجَلَّ- لها حدا في الدنيا، مثل حد شارب الخمر مثل حد السارق حد القاذف هذه تكون في الكبائر،

وعلي كل حال أهل الكبائر هنا قوله: «مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ»، ظاهر كلامه أن الحكم هذا خاص بأهل الكبائر من هذه الأمة، وهذا غير صواب، لعموم الأحاديث الدالة على أن الله- عَزَّوَجَلَّ- يقول: «أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ» فيشمل من كان من أهل الكبائر من هذه الأمة ومن كان من الأمم السابقة ممن كانوا متبعين لأنبياء، بعثهم الله تعالى إليهم لكن وقعوا في كبيرة فحكمهم واحد.

❁ **قال المصنف: «بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللهَ تَعَالَى عَارِفِينَ».**

ينبغي أن يقال بعد أن لقوا الله مؤمنين لأن المعرفة جزء من الإيمان وليست هي الإيمان، حتى يقال «لَقُوا اللهَ تَعَالَى عَارِفِينَ»، لكن لقوا الله مؤمنين، والإيمان- كما تقدم- قول واعتقاد وعمل.

❁ **قال المصنف: «وَنَرَى الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَعَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ».**

ثم تكلم عن الصلاة خلف كل بر وفاجر، من أهل القبلة وعلى من مات منهم، إذا كانوا من الولاة فنعم من صلى خلفهم ولا يقال إن هذا الحاكم لما كان فاجرا أي: أنه يظلم الناس في دمائهم أو في أموالهم أو أنه- والعياذ بالله- يقع في الكبائر من شرب خمر أو نحوها لا يقال اتركوا الصلاة خلفه لأن ترك الصلاة خلف الإمام الذي هو حاكم المقصود إذا كان حاكما وليّ أمر هذا يؤدي إلى فتنة ويؤدي إلى أن تترك هذه الفرائض العظام لأنه هو الذي يتولاها، بخلاف إمام الصلاة فإمام الصلاة إمام المسجد المعتاد إذا وجد عنده شيء من الفسق الذي يظهر ينبغي عزله لأن عزله لا يترتب عليه مفسدة، الجهة التي عينته تعزله الأمر سهل لن يقع فتنة ولا أشكال لم يعط ولاية أمر إنما حده أن يكون إمام في هذا المسجد، أما إذا كان من ولاة الأمر فقد صلى الصحابة ﭫ خلف الحجاج بن يوسف، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «يَكُونُ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابٌ وَمُبِيرٌ»، والمبير هو الحجاج بن يوسف مهلك- عياذ بالله- أهلك الناس وسفك دماء بغير حق وكان ظالما متجبرا، ومع ذلك صلى الصحابة خلفه.

❁ **أما إذا كان هذا الذي يصلى خلفه كما قلنا إمام مسجد معتاد فهل يصلى خلف الفاسق أو خلف المبتدع؟**

هذه المسألة فيها خلاف بين أهل العلم:

فمنهم من يقول يصلى خلف كل مسلم ما دام مسلما فإنه يصلى خلفه.

ومنهم من يقول من يظهر فسقه وهو إمام مسجد إمام صلاة فقط، يقول لا ينبغي أن يصلى خلفه لأن إمامة الصلاة يتولاها من فيه ورع وتقوى ودين، والنبي ﷺ يقول: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب**

الله»، وهذا الذي أمَّ القوم ولم ينفعه قراءته لكتاب الله بل كان متظاهرا بشرب خمر مثلا أو نحوه لا ينبغي أن يُصلى خلفه، فبعض أهل العلم يقول لا تصلى الصلاة خلف الفاسق.

ومنهم من يقول تصلى لأنه مسلم، أما إذا كان مبتدعا فإن كانت بدعته مكفرة، أي: أنه مثلا من المشركين شركا أكبر فإن هذا لا يصلى خلفه بدون شك، لأن البدعة إذا كانت مكفرة فالرجل محكوم بشركه وكفره فكيف يصلى خلف كافر؟!

أما إذا كانت بدعته غير مكفرة، أي: أن عنده بدعة لكن هو من المسلمين فهذا مما أيضا اختلف أهل العلم فيه، ولا شك أن الصلاة خلفه.. الكلام فيها ليس كالصلاة خلف المشرك الشرك الأكبر، لكن الذي ينبغي أن يختار لإمامة المساجد من جمع العلم وجمع التقوى، فإن كان عنده علم بلا تقوى أو عنده تقوى وفضل وعبادة لكن لا علم عنده فليس محله إمامة المساجد لأن النبي ﷺ يقول: «**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ**...» إلى آخر الحديث، يُبحث عن المؤهَل الذي يستحق أن يتولى الإمامة.

قال المصنف: «وَعَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ».

أي: أنا نصلي على من مات من أهل الإسلام وإن كان من أهل الكبائر ولا تترك الصلاة عليه، فإذا مات صلينا عليه ولا يحل أن تترك الصلاة على أحد بحيث لا يوجد أحد يصلي عليه بسبب فسقه، فهذا لا يجوز ما دام مسلما لا بد من أن يصلى عليه لأن صلاة الجنازة فرض كفاية، إذا لم يقم بها أحد نهائيا أثم الجميع، فلا بد أن يصلى عليه، لكن جاءت النصوص بترك النبي ﷺ الصلاة على بعض العصاة، كالمنتحر فتُترك الصلاة عليه لا من الجميع، ما يجوز أن يترك الجميع الصلاة عليه، لكن لو أن أهل الفضل والعلم تركوا الصلاة عليه ليس زجرا له؛ لأنه مات، وليس هناك زجر للميت، وإنما زجرا لغيره حتى لا ينتحر، لأنه إذا قال الآن إذا كنت سأنتحر وسأخسر حياتي، ثم أهل الفضل والخير والديانة والعلم سيتركون الصلاة علي أيضا فسأجمع الشر كله فيكون زجرا لغيره، لكن لا شك أنه يصلى عليه على المنتحر ويصلى على شارب الخمر ويصلى على الزاني ولا تترك الصلاة عليه بحيث تترك الصلاة عليه بالكلية ما يجوز، لكن في بعض الأحوال تترك الصلاة عليه من قِبل أهل الفضل حتى يزجر غيره، وهكذا إذا صار صاحب بدعة غير مكفرة، فإنه قد تترك الصلاة عليه زجرا للمبتدع، وإن كان مسلما، إذا

قلنا بدعة غير من كفرة أي أنه مسلم ولهذا ترك سفيان- رَحِمَهُ ٱللَّهُ - الصلاة على ابن أبي رَوَّاد ولما أتى وكان في مكة وقد وضعت جنازته قال الناس جاء سفيان جاء سفيان لأن سفيان الثوري له مكانة فتعمد أن يتخطى الجنازة ويترك الصلاة عليه، فقيل له في ذلك؟ قال: «والله إني لأرى الصلاة على من هو دونه- أي: تجوز الصلاة- لكن أردت أن ينزجر غيره»، هذا المقصد إذا قيل لا يصلى على من يكون عنده بدعة، حتى يفكر المبتدع الذي على قيد الحياة، يقول ما الذي جعل أهل الفضل والدين والخير يتركون الصلاة على هذا الذي هو على نفس بدعتي، هذه البدعة ستجر علي شرا في ديني وفي دنياي ذلك فيتسبب ذلك في أن يترك بدعته، وكذلك لو أراد أحد أن ينتحر، فيقول: إذا انتحرت فسيترك أهل الديانة والفضل الصلاة علي كما تركوا الصلاة على فلان، أما الصلاة عليه فتجوز بلا شك، لكن المقصود أن يُزجر هؤلاء عن أن يقتحموا هذه الكبائر العظام لكن الصلاة عليهم واجبة ولا يجوز أن تترك بحيث يطبق الجميع على ترك الصلاة عليه ويؤخذ ويرمى في قبره ما يحل في هذه الحالة يأثمون جميعا.

❁ قال المصنف: «وَلَا نُنْزِلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً وَلَا نَارًا».

الجنة والنار لا يُشهد لأحد بهما إلا إذا دل النص على المعين بأنه من أهل الجنة لكن إجمالا نقول: المؤمنون في الجنة، الكفار في النار، لكن هذا المعين المحدد لا نشهد بأنه من أهل الجنة إلا إذا جاء نص كما في العشرة المبشرين وكما في بلال وكما في خديجة وكما في الحسن والحسين وكما في ثابت بن قيس بن شماس وأمثالهم ممن شهد لهم النبي ﷺ بأعيانهم، ولهذا قالوا فكان يمشي على الأرض وهم يعلمون أنه من أهل الجنة، أي يعلمون أن هذا الشخص شهد له النبي ﷺ في الجنة، نعم، إذا جاءت الشهادة فنعم.

وهكذا النار، لا نجزم لأحد أنه من أهل النار إلا إذا دل النص على أنه من أهل النار، فنجزم بأن أبا جهل في النار، وان أبا لهب في النار.

❁ لماذا لا نُجزم على المعين بأنه من أهل النار إلا بنص؟

لأنه قد يسلم، فلو رأيت الصحابة رضي الله عنهم في أحد، وقد عاد عليهم خالد بن الوليد رضي الله عنه، بالجيش وبغت المسلمين وقُتل من المسلمين سبعون وصاروا يبقرون البطون ويقطعون الأنوف، ماذا تقول فيهم؟ لو قلت هؤلاء في النار شهدتَ على معين، فلا يشهد عليه حتى يموت على الكفر، ولهذا لما رجع

النبي ﷺ بعد فعلتهم الشنيعة بالمسلمين في أُحد وكادوا يقتلون رسول الله، وشجّوا وجهه الكريم ﷺ حتى أدموه، فقال ﷺ: «**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ؟**»، ولما صلى الفجر صار يقنت عليهم بعد الركعة الثانية: «**اللَّهُمَّ الْعَنْ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو وَصَفْوَانَ وَأَبَا سُفْيَانَ**» فأنزل علام الغيوم: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ [آل عمران: ١٢٨] يا لها من آية! قتلوا المسلمين هذا القتل العظيم وأحرقوا قلوبهم بالقهر، ثم يقول أبو سفيان: أفيكم محمد؟ فقال النبي ﷺ: «**لَا تَرُدُّوا عَلَيْهِ**»، أفيكم أبو بكر؟ أفيكم عمر؟ فلمَّا لم يردوا عليه قال: أما هؤلاء فكفيتموهم، أي: أنهم قتلوا، فلم يملك عمر نفسه قال: أن الذين سألت عنهم لأحياء يا عدو الله، فقال: أعلوه هُبل، الذي يعبدونه قال النبي ﷺ: «**رُدُّوْا عَلَيْهِ**» قالوا ما نقول؟ قال: «**قُولُوا اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ**»، فقال يوم بيوم بدر، قال: «**رُدُّوْا عَلَيْهِ**»، قالوا ما نقول؟ قال: «**قُولُوا لَا سَوَاءٌ، قَتْلَانَا فِي الجَنَّةِ وَقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ**» فقال كلمة تقهر جدا: سَتَجِدُوْنَ مُثْلَةً، أي: أناسا مُثِّل بهم وقطعت أنوفهم وآذانهم لَمْ آمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسُؤنِي، هذه أشد قهرا مما لو قال أنا الذي أمرت بها، يقول ما رفعت بها رأسا أنا ما أمرت بها لكن لم أهتم بها، هذه حرب نفسية ليست سهلة، فالنبي ﷺ لعنهم لعنا بأعيانهم، فأنزل الله: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ [آل عمران: ١٢٨] سبحان الله قدم الله التوبة، لأنه يعلم أنه سيتوب إليه فقال: ﴿**أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ**﴾ [آل عمران: ١٢٨]، فعلم علام الغيوب أنهم سيتوبون، ولهذا لا يُشهد على المعين بأنه من أهل النار حتى لو كان في ألد أعداء الله، لأنه قد يكون في أهل الإسلام، وهذا وقع لكثيرين وهذا مما قهر المستشرقين يقولون هذا الدين عجيب عجيب ينقلب ألد أعدائه إلى أشد أوليائه يقول هذا أمرا نتعجب منه ولهذا- سبحان الله- حتى في أوروبا في السنوات الأخيرة جملة من أهل التطرف بالطريقة التي عليها أولئك القوم كانوا من أشد الناس بغضا للإسلام، فوجئ الناس أن هذا الرجل كتب في حسابه أعلن أني أسلمت، ومن أشد الناس بغضا للإسلام فكانت بمثابة الصاعقة على أصحابه، وعدد ممن كانوا تولوا شدة الحملة على الإسلام أسلموا، فأنت لو قلت: «هذا المجرم هذا كافر- وهو قطعا كافر لا شك في الدنيا- وهو في النار» ما يجوز هذا؛ لأنه قد يسلم، بل قد ينفع الله به الإسلام أكثر منك، فخالد بن الوليد رضي الله عنه نفع الله تعالى به الإسلام نفعا عظيما حتى سماه النبي ﷺ بسيف الله، فقال: «**إِنَّ خَالِدًا سَيْفٌ سَلَّهُ اللهُ عَلَى المُشْرِكِيْنَ**»، لهذا لا يُحكم على المعين.

وهكذا الصالح الرجل الخير الذي على السنة وعلى الهدى لا يحكم له بالجنة لأنك لا تدري-

نسأل الله العفو والعافية وحسن الخاتمة- بما يختم له، والنبي ﷺ يقول: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيْمِ**»، ولأن عندنا مثلا رجل اسمه أحمد بن حنبل إمام من أئمة السنة وثبت على الحق، وهو إمام في الإسلام، هل هو في الجنة؟ ما يجوز تقول في الجنة ولو أحمد بن حنبل؟ ولو أحمد بن حنبل، وعندك عمر بن عبدالعزيز رجل يضرب به المثل في في العدل وفعل وفعل في الجنة؟ ما تشهد له بالجنة، تحيل الأمر لله علام الغيوب لهذا قالوا: نرجو للمحسن، نحن نرجو لهم رجاء. أما الشهادة لا، ولهذا روى البخاري أن النبي ﷺ لما مات عثمان بن مظعون وهو من المهاجرين الأولين وأوذي في الله أذية عظيمة في مكة، فلما أخى النبي ﷺ بينه وبين أحد الأنصار توفي عندهم، فقالت أم السائب الأنصارية شهادتي عليك لقد أكرمك الله، تقول لعثمان قال ﷺ : «**وَمَا يُدْرِيْكِ أَنَّ اللهَ أَكْرَمَهُ؟**» قالت: سبحان الله يا رسول الله، قال: «**وَاللهِ إِنِّي وَأَنَا رَسُولُ اللهِ لَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِهِ**»، هذا في الصحابة، فكيف نقول هذا الرجل من الفقهاء من العلماء؟ لا نشهد لأحد لكن نرجو، ثم إنها قالت ﵂: لا أزكي بعده أحدا، ثم إنها رأت له عينا تجري أي: في المنام، فقال ﷺ : «**ذَاكِ عَمَلُهُ**»، هذه رؤيا صالحة، لكن الشهادة أبى النبي ﷺ مع أنه صحابي من المهاجرين رضي الله تعالى عنه وأرضاه ومع ذلك أبى النبي ﷺ أن يقطع له قطعا إلا بنص، بنص محدد يأتي يخبر أن أبا بكر في الجنة، عمر في الجنة إلى آخره؟ نعم هؤلاء نشهد لهم ولهذا لا ننزل أحدا جنة ولا نارا.

❁ قال المصنف: «وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلَا بِشِرْكٍ وَلَا بِنِفَاقٍ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى».

لا نشهد على أحد من الناس بأنه ليس بمسلم ما دام الظاهر منه هو الإسلام إلا إذا ظهر الكفر أو الشرك ونذروا سرائرهم إلى الله، ألا يمكن أن يكون في وسط المسلمين من هو عدو لهم؟ من هو جاسوس يرصد ثغراتهم حتى ينقلها إلى أعداء الله؟ بلى، لكن هذا الباب سدَّه الشرع، سده الشرع تماما، وذلك من عظم رحمة الله، لأنه لو فتح الباب للحكم على سرائر الناس لتمكن من أراد الإضرار بأحد بأن يقول أنا أشعر أن هذا الإنسان عدو لله وسأقتله لأجل الله، فتستباح الدماء بهذه الطريقة بحسب ما يقع في خواطركم وظنونكم، لا ليس لكم ذلك، وقد تعامل النبي ﷺ مع المنافقين معاملة ما أظهروا من الإسلام مع كثرة الدلائل التي ليست جازمة كالشهادة عليهم بالكفر لكن- سبحان الله- أهل النفاق لهم صفات، ولهذا ما سمى الله منافقا في القرآن ولكن أوضح صفاتهم وهذا الأهم لأن المنافق يموت

لكن الصفات ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧]، انظر هذه الصفة تعطيك المنافق، الشخص الذي يقاوم الخير وينهى عنه ويحرص على نشر الشر والفساد يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف هذه علامة عظيمة على أنه منافق لكن هذا حسب الظاهر، ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢] هذه علامة، ولهذا المؤمن ينبغي أن يعرف صفات المنافقين حتى يحذرها ومثل القيام من الصلاة كسلان لا، قم للصلاة وأنت نشيط فرحا بها وأن الله تعالى مكّنك وأكرمك أن تمشي على قدميك وأنك مسلم وإياك أن تأتي إلى الصلاة متكاسلا صفة من صفات المنافقين.

إذًا السرائر لا يخاض في أمرها، ومن قال إني أعرف سريرة هذا أنه فاسد العقيدة، قيل أنت الآن تعرض نفسك للتفسيق أنت لأنك تدّعي علم الغيب حدبا على الإسلام بزعمك، إذًا السرائر توكل إلى الله، مع علمنا بأنه يندس بين المسلمين من يندس، لكن يبقى حفظ الدماء الأولوية العظمى ذكروا أن عبدالله بن أبي بن سلول وهو رأس المنافقين كان إذا خطب النبي ﷺ الجمعة قام بعد النبي ﷺ بعد ما يصلون ووعظ الناس وحضَّهم على اتباع رسول الله ﷺ وأن الله أكرمكم وأنعمكم بمحمد ﷺ، فاتبعوه وأطيعوه، فلما فعل ما فعل يوم أحد وانخذل من انخذل من الجيش قام على عادته فجر المسلمون ثوبَه وقالوا تقول هذا يا عدو الله وقد فعلت ما فعلت في أحد وأبوا أن يمكنوه من الكلام، كان النبي ﷺ يتعامل معه بالظاهر، ولهذا لما قال: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨]، كلمة عامة ما قال لأخرجن الأذل محمدا، ما قاله، فإذا أتيت المنافق قال أنا ما أقصده، فوقف ابنه عبدالله- رضي الله عنه- عبدالله بن أبي له ابن يسمى الحُباب، غيره النبي ﷺ إلى عبدالله، فصار اسمه عبدَالله بن عبدالله، فوقف على مدخل المدينة ولما أراد أبوه أن يدخل وإذا به شاهر سيفه وقال والله لا تدخل حتى يأذن لك رسول الله ﷺ وتعلم إنك أنت الأذل وهو الأعز، حتى أرسل له ﷺ بأن يأذن له، استغرب أن ابنه يمنعه قال والله لا تدخل والسيف مشهور، حتى تعرف أنك أنت أذل وليس رسول الله ﷺ، فالحاصل أن المنافق يعامل بحسب الظاهر، لماذا؟ لعموم ما أظهر، أما الخوض في السرائر فلا شك أنه ابتداع وضلال، وادعاء لعلم الغيب- وإن لم يكن يدعي علم الغيب المطلق- لكن كلمة أنا أحس أنا أشعر أنا أظن أنا أتوقع أنا أخمن هذه سد الباب عنها، هذا أمرٌ إلى الله- سبحانه وتعالى- وأنت قد نُهيت، أن تدخل في أمر السرائر لأن السرائر أمرها موكول إلى الله عز وجل، ولهذا قال: «**وَنَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ**

تَعَالَى».

❁ **قال المصنف:** «وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا وَوُلَاةِ أُمُورِنَا، وَإِنْ جَارُوا، وَلَا نَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فَرِيضَة، مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَة، وَنَدْعُوا لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْمُعَافَاة».

اربط كلامه بعضه ببعض قال: «وَلَا نَدْعُو عَلَيْهِمْ...»، «وَنَدْعُوا لَهُمْ»، أي: لا ندعو عليهم بالدعاء اللهم أخذلهم اللهم العنهم اللهم أخزهم لا ما ندعو وندعو لهم اللهم وفقهم اللهم سددهم اللهم أعنهم على أنفسهم اللهم ارزقهم البطانة الصالحة، فالدعاء يكون لهم لا عليهم، هذا أمر.

❁ **قال المصنف:** «وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا وَوُلَاةِ أُمُورِنَا».

الخروج على الأئمة، الخروج يكون على نوعين:

❍ **النوع الأول -وهو الأشهر-:** الخروج بالسيف، والسعي إلى إزالة الحاكم المسلم، لأنه عنده ظلم أو تعد، أو عدم إيفاء حقوق أو نحو ذلك هذا باب موصد مغلق، ولا يحل الخروج على حاكم مسلم ما الفائدة؟

الفائدة: الساذج يظن أن الفائدة راجعة إلى الحاكم، ولهذا يقول بعضهم أنتم بهذا التقرير تمهدون لترسيخ قوة الحاكم.

والواقع أن هذا أولا: اتباعا للنصوص.

الأمر الثاني: أنه تقوية للجماعة، لأن الجماعة إذا كان عليها حاكم ورأس انضبط كثير من شأنها، فلو زال الحاكم وبقيت بلا حاكم لرأى الناس ما لا يتصورونه ولا يتوقعونه، من الفوضى العارمة ومن انطلاق الفجَرة وأهل الفساد بطريقة لا يمكن أن يردوا بها إلا بقوة ولهذا كان عدد من الولاة الظلمة مانعين للناس بقوة السلطة عن الفوضى، فلما توفي هؤلاء الحكام وحصل شيء من الخلل في عدم تولية أحد بعدهم رأى الناس الفوضى ولأجل ذلك تمنَّوا أن يكونوا تحت حكم ذلك الظالم وأن الفوضى لم تدب فيهم، ولهذا جاء عن الشعبي- رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أنه قال يأتي زمان يصلي الناس فيه على الحجاج، الحجاج ظالم بلا شك لكن سيأتيكم وقت تقولون رحم الله الحجاج، مما سترون من الفوضى إذا انفلت الأمر ولم يوجد لكم حاكم، لهذا قال: «وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا» فالخروج المعتاد أن يكون بالسيف.

❍ **النوع الثاني- من الخروج-:** الخروج باللسان، بحيث يهيج الإنسان الناس وقد يكون صاحب شعر وقد يكون صاحب فصاحة وخطابة فيهيج الناس ليزيلوا الحاكم فهذا نوع من الخروج، ولا يوجد خروج غالبا بالسلاح إلا إذا سبقه خروج اللسان.

ولهذا الخوارج نوعان:

خوارج قعدة، أي: قاعدون يحرضون ويشجعون لكن فيهم جُبن لا يريدون القتال.

وخوارج يحملون السيف، فهؤلاء سبب في هؤلاء

❁ **قال المصنف: «وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا وَوُلَاةِ أُمُورِنَا».**

سماهم بالأئمة لأن النبي ﷺ قال: «**خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ**» سماهم أئمة وهم شرار، «**الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ**» قد تقول إن هذا فيه نوع من الدعاء عليهم، فنقول النبي ﷺ حكى هذا الحال وأخبر أنه سيقع، وأنها علامة أنه إذا كان حاكما وقع منه شيء من التعدي فسيأتي من يلعنه، لكن كما ذكرنا الأصل عدم لعن المسلم، والأصل أن الدعاء أن الولاة يُدعى لهم لا عليهم.

❁ **قال المصنف: «وَوُلَاةِ أُمُورِنَا».**

من أين أتت هذه الكلمة أن هذا الشخص ولي أمري؟ من من قول الله- عَزَّوَجَلَّ-: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]، وقال ﷺ: «**وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُمُ اللهُ أَمْرَكُمْ**»، وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، أن تظن هذا الحاكم الآن وذاك الرئيس وذاك الملك، أخذ الملك بيده لا والله لا يمكن أن يملك حتى يملكه الله، وإذا شاء الله أن ينزع منه الملك نزعه ولذا قال: ﴿تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ﴾ [آل عمران: ٢٦]، فالملك يؤتيه الله تعالى من شاء، قال أهل العلم إن الله تعالى يولي على الناس من هم مناسبون لهم فإن ظلم الناس ولّى الله عليهم ظلمة، وإن اتقوا الله ولّى الله عليهم تقاة، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية حين تكلم على هذه المسألة قال: إن الأمر كما قيل كما تكونوا يُولّى عليكم، ونزع لقول الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا﴾ [الأنعام: ١٢٩]، فقال: إن الولاة الظلمة يأتون لرعية قد

ظلموا أنفسهم فيكون هؤلاء الولاة من جنس هؤلاء الرعية، ولهذا إذا اتقت الرعية الله يسر الله تعالى لها حاكما يتقيه، إما بتوبة هذا الحاكم وعوده إلى الله، وأما كما قال الإمام أحمد وغيره حتى يَستريح بر أو يُستراح من فاجر، ولن يبقى أبد الدهر حاكما، لكن الخروج لا يصلح وقد ذاق الناس الويلات والمرارة من الخروج على الحكام والسعي في إقصائهم، فالحاكم يقف لهم وتسفك دماء لا يحصي عدد من يقتل إلا الله- سبحانه وتعالى- وتضطرب الأمور وينقطع السفر والمعايش ويقبع الناس في بيوتهم ولا يأمن الإنسان جاره الذي بجانبه ويحل أمر من الفوضى والقتل الذريع من آثار عدم تقوى الله بالصبر على جور الحكام، لأن هؤلاء الحكام وإن جاروا- أي: وان ظلموا- فإنه يُصبر عليهم، لكن ليس معنى ذلك أنهم لا يُنصحون، ولا يدخل عليهم أهل العلم، ليس معنى هذا أن أهل العلم لا يدخلون عليهم ويذكرونهم بالله تعالى، بل يذكرونهم بما أوجب الله تعالى من مراعاة حقوق الرعية ينصحون كما ينصح أي مخطئ، لكن ينصحون بالطريقة الشرعية، قال ﷺ كما في المسند: «**مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِسُلْطَانٍ بِأَمْرٍ، فَلَا يُبْدِ لَهُ عَلَانِيَةً، وَلَكِنْ لِيَأْخُذْ بِيَدِهِ**» أي: بينه وبينه «**فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ لَهُ**»، فينصحون بالطريقة السليمة التي لا تتسبب في أن يحتقنوا ويغضبون ويقرروا أن يزيدوا في الظلم، فلأجل ذلك ينصحون بالطريقة السليمة التي لا تتسبب في تهييجهم، أما من قال أنا لا أستطيع أن أنصح إلا بالقوة، فيقال له اجلس في بيتك عافاك الله، نحن نريد أن تنصح لينفع نصحك، أما إن كنت ستنصح لتضطرب الأمور بعدك فلا فلا تنصح في هذه الحال، النصيحة المراد بها أن يزول المنكر أو يخف لا أن يشتد المنكر.

فالحاصل أنه لا يخرج عليهم، وإن جاروا ولا ندعو عليهم ولا ولا ننزع يدا من طاعتهم لأن الله- سبحانه وتعالى- أمرنا بطاعتهم في قوله: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩].

قال المصنف: «وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فَرِيضَةً».

الآن إذا أطعن هؤلاء الحكام فنحن نطيعهم طاعة لله، ولو أن الله أمرنا بأن نعصيهم لتقربنا إلى الله بمعصيتهم، لكن الله أمرنا بطاعتهم وهو العليم الحكيم سبحانه وتعالى، لأن في طاعتهم- في غير معصية قطعا كما سيأتي- شيء من الاستقرار العظيم في مصالح الناس في دينهم ودنياهم، ولهذا قال علي رضي الله تعالى عنه وأرضاه: إن الله تعالى يجعل بالحاكم حتى وإن جار يجعل فيه المصلحة للناس، قال أي مصلحة قال به تأمن السبل ويأمن الناس تأمن الطرقات والأسفار، إذا اضطربت البلدان في الداخل وصار

فيها فوضى لا تستطيع أن تخرج لأن اللصوص مباشرة والعِصابات تتنقل بين الناس لتسلب أموالهم وربما تعرضوا لهم حتى في أعراضهم، لهذا يقول يعيش الناس به، يجبى به الفيء ويحج به الناس، لأن الناس يستقر وضعهم، لأجل ذلك تكاثرت النصوص، عن النبي ﷺ بالصبر عليهم، وقد روى البخاري أن أهل العراق أتَوا إلى أنس- رضي الله عنه- واشتكوا إليه ما يلقون من الحجاج، فقال- رضي الله عنه-: «**اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لاَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ**» سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ يقول يأتيكم أزمنة على حال من السوء والشر، وضع الناس فيها، فاصبروا على هذا الحال لأنكم مأمورون بالصبر، لأجل ذلك إذا عُمل بهذه العقيدة استقرت الأحوال للناس في دينهم ودنياهم، أما إذا لم يعمل بهذا فمثل ما رأيت، من اضطراب البلدان والفوضى العارمة العظيمة التي حلت بكثير من البلدان وصار وضعها أسوأ بكثير من وضعها السابق الذي كانت عليه.

قال المصنف: «مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ».

السمع والطاعة إنما يكون في المعروف كما قال ﷺ والمخلوق لا يمكن أن تبلغ طاعة العباد له حدا يُعصى الله لأجله، لأنه أصلا لم يطع هذا المخلوق إلا لله، فطاعة الله هي الأصل ولأجل الله أطعناك، فإذا قلت اعصوا الله قل لا نعص الله- عز وجل- نحن أصلا لم نطعك إلا لله، فكيف تريد منا أن نعصي الله لأجلك؟ ولهذا قال ﷺ: «**لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ**»، قاعدة عامة أي مخلوق لا يطاع، فلا يطيع الابن أباه ولا الزوجة زوجها ولا العبد سيده ولا الرعية حكامها في معصية الله هذا أمر مستقر، ولهذا قال ﷺ: «**السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ**» طيب فإذا لم نسمع ونطع في هذا الأمر الذي فيه معصية، ماذا عن الأوامر الأخرى التي ليس فيها معصية؟ باقية على الطاعة، ليس معناه أنه إذا أمر بمعصية انهارت ولايته، هذا غير صحيح، لكن في هذا الأمر المعين الذي أمرنا أن نعصي الله فيه لا نعصي الله- عز وجل-، وطاعته باقية فيما ليس فيه معصية.

قال المصنف: «وَنَدْعُوا لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْمُعَافَاة».

ندعوا أن الله يصلح حالهم وأن يقرب لهم من يعينهم على أنفسهم وأن ينالهم النصيب الأوفى من قوله عليه الصلاة والسلام: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِالْأَمِيرِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ**»،

فتدعو الله لهم بصلاح البطانة وأن يقرب لهم الأخيار الصلحاء، الذين يعينونهم على الخير ويحببونه لهم، قال: «**وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ، إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ**»، فيُدعى لهم بصلاح البطانة وأن يجعل الله لهم بطانة صالحة تعينهم على الخير وأن يعيذهم من شر أنفسهم وأن يعيذهم من شر بطانة السوء، التي أخبر ﷺ بقوله: «**مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلاَ اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ تَعَالَى**» فنسأل الله أن يرزقهم البطانة الصالحة الخيرة وأن يزيل عنهم البطانة السيئة.

وكذلك الدعاء بالمعافاة لهم في دينهم ودنياهم، أن يعافيهم من المظالم، وأن يعافيهم من الأمر بمعصية الله عَزَّوَجَلَّ، وأن يعافيهم من انتهاك الواجبات، تدعو لهم بذلك.

۞ قال المصنف: «وَنَتَّبِعُ السنة وَالْجَمَاعَة، وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالْخِلَافَ وَالْفُرْقَة».

نتبع السنة أي: سنة رسول الله ﷺ، والجماعة التي أمر ﷺ بلزومها، وقال: «**تَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِيْنَ مِلَّةٍ، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**» قيل من هي يا رسول الله؟ قال: «**الجَمَاعَةُ**» فتلزم الجماعة، قال ابن مسعود- رضي الله عنه- ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة، أي: الشيء الذي تكرهونه في الجماعة من المنكرات الظاهرة التي ترونها، لو حصلت فُرقة تتوقعون أنتم أن إزالة هذه المنكرات ولو زالت الجماعة سيكون معها صلاح الحال. لا، على العكس، ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة فالفرقة يكون معها الشر أضعافا مضاعفة عياذ بالله، من أجل ذلك قال: «**ونتبع السنة والجماعة**».

۞ قال المصنف: «وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالْخِلَافَ وَالْفُرْقَة».

وذلك بأن يشذ الإنسان عن الجماعة، ويترك الجماعة ويعتزلهم، مع أنها جماعة فيها الصلاة قائمة وفيها خير وشر، فيعين أهل الخير على خيرهم، وينصح أهل الشر ويقاوم ما استطاع منه، أما إذا شذ عنهم وانفرد مع أنه يمكن أن ينفع فهذا غلط إلا إذا وقع ما ورد في الحديث: «**حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعِ العَوَامَّ**»، وقال ﷺ: «**يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ**

بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ» هذا- والعياذ بالله- إذا وجدت فتن لا تستطيع أن تنفع فيها ولا أن توجه ولا أن تتعاون مع أحد على خير في هذه الحال عليك بخاصة نفسك حتى لو خرجت من الموضع الذي أنت به، لكن ما دمت تنفع وتُعلم وتذكر وتنبه وتنهى عن منكر وتأمر بالمعروف فلا تترك الجماعة؛ لأن الله ينفع بك بالقدر الذي تستطيعه ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

قال المصنف: «وَالْخِلَافَ وَالْفُرْقَةَ».

كثرة الخلافات، كثرة النزاعات، دالة على قلة العقل ما الدليل؟ قوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤]، فكأن قائلا قال- كما ذكر الشنيقيطي-: ما بالهم أمة واحدة وهم شتى؟ قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨]، فكثرة النزاعات مع من هب ودب مع طالب العلم ومع الشيخ الذي تعلمت منه ومع زميلك ومع جارك ومع كل أحد بهذه الطريقة التي يستميت فيها بعض الناس استماتة وكأن الخلاف كأنه لذة كأنه شيء جميل، الخلاف والفرقة عذاب، ولا تنكر مسألة إلا اضطرارا، إذا كانت سنة وبدعة، وشرك وتوحيد ممايزة هنا لا بد من أن تخالف والخلاف في هذه الحالة أنت فيه على الحق، لكن أن تجد بعض الناس من طبعه كثرة الخلاف، حتى إنه يخالف شيخه الذي درس عليه، ويخالف زميله الذي زامله في الطلب، ويخالف من حوله فتجده في حال من الخلاف والصراع المستديم، أهذا منهج؟ ليس بمنهج، ولهذا قلنا إن الشيخ محمد بن عبدالوهاب- رَحِمَهُ ٱللَّهُ- قال إنه إذا وقع شيء من الخطأ فينبغي أن يبادَر إلى صاحب الخطأ بالنصح قبل الرد عليه، هذا مما يساعد على ترك الخلاف، يؤتى إليه في بيته أو يدعى عند أحد من أهل العلم أو تدعوه أنت فيما بينك وبينه أبواب مغلقة لا يدري أحد، يا فلان أنت أفتيت بهذه الفتوى، أنت تعرف أن هذه الفتوى على خلاف الحق، أنت قررت هذا التقرير المخالف لعقيدة أهل السنة، فربما رجع يقال الحمد لله على رجوعك الله تعالى يقول: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟﴾ [البقرة: ١٦٠]، هذه نارا أنت أوقدتها فأطفئها، لن أطفئها أنا لن أرد عليك، لكن أنت قل إني أيها الإخوة أخطأت وبدر مني هذا الكلام وأنا أستغفر الله منه، وأنا راجع عنه، يتوب الله عليك ويعذرك إخوانك لكن إذا استمررت على الباطل بعد النصح لا بد أن يرد عليك أنت الذي فتحت الباب لكن هل نُصح قبل؟ ولهذا والله أعلم كثير من الخلافات التي وقعت حمل على الخلاف فيها هوى النفس، فرد هذا على هذا فقام هذا بالرد عليه، وصار بينهم هذه

المصارعات واشغلوا الناس بكثرة الخلاف، مما كان يمكن أن يدفن في مهده بأن ينصح ويطلب منه الرجوع وهذا جُرب، وكان شيخنا ابن باز رحمة الله تعالى عليه ينهج هذا النهج، فكان يتصل- رَحِمَهُ ٱللَّهُ- تعالى على من بدر منه شيء من الخطأ أو نحوه ويطلبوه أن يأتي، وإذا طلبه أتى لو كان حتى من المسؤولين الكبار رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لأنه مُقدَّر فيقول: أنت قلت كذا وكذا؟ فإذا قال نعم، أنا قلته. قال له: ينبغي أن ترجع عن مثل هذا الكلام، فتجده يرجع ويكتب كتابه بأنه راجع وأنه أخطأ أو أنه فهم كلامه فهما لم يرده أو نحو ذلك مما يطفئ الخطأ السابق، فينبغي البدء أولا بالنصح، لا أن يُبدأ الهجوم مباشرة على الشخص، وقد يقول قائل أنا قد لا يقبل مني، وقال تريث انتظر قد لا يقبل منك لكن قد يقبل من غيرك، اصبر، دع غيرك يحاول معه، فإذا حاول معه وأبى وأصر هذا وضع آخر، لكن أن يُبادر دائما إلى الرد، وإلى كثرة زعزعة الناس، وقد اضطرب كثير الحقيقة من صغار طلبة العلم ومن عامة المسلمين صاروا يجدون هؤلاء يردون على هؤلاء وهؤلاء يردون على هؤلاء، فينبغي هذا أن يلاحظ، لكن إذا أصر أحد على باطل فيستحق الرد بلا شك حتى لا يضل الناس بسبب مقالته الباطلة.

۞ **قال المصنف:** «وَنَرَى الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ، فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ».

المسح على الخفين حكم فقهي، من الأحكام العادية، ما الذي جعل العلماء ينصون عليه في العقيدة؟ هو خلاف المبتدعة فيه، وإلا المسح على الخفين؟ ما هو؟ لاحظوا شيئا في المسح على الخفين، ما هو أنه جزء من الوضوء ما يتكلمون عن الوضوء، يتكلمون عن المسح على الخفين، لأن الرافضة وبعض الخوارج خالفوا في مسألة المسح على الخفين، وزعموا أن المسح على الخفين لا يجزئ، فنص العلماء في كتب العقيدة على أن المسح على الخفين حق، للأحاديث الكثيرة الواردة عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأن هؤلاء المبتدعة يريدون أن يطمسوا سنة من سننه ولهذا ما قال ونرى غسل الرجلين لأن غسل الرجلين هذا معلوم ومتفق عليه، وإن خالفت أيضا فيه الرافضة لأن الرافضة مع ذلك تمسح مسحا- وسبحان من قلب قلوبهم- يمسحون على القدمين مسحا، مع أن المسح الخفين ولا يغسلون القدمين، فالحاصل أنهم نصوا على مسألة المسح على الخفين لوجود الخلاف مع المبتدعة فيها.

قال المصنف: «وَالْحَجُّ وَالْجِهَادُ مَاضِيَانِ مَعَ أُولِي الْأَمْرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ، إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ».

أين موقع هذه الجملة أيها الإخوة؟ فيما قبل عند قوله: «وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا» فمكانها هناك لكن مثل ما ذكرنا هو لم يقصد الترتيب وإلا هذه المسألة تابعة لما قبلها.

والمعنى: إذا حج بالناس ولي الأمر وعنده مظالم، فلو قال أحد يتورع أحج مع هذا؟ لا ما أحج معه، هذا الذي سفك الدماء هذا الذي تجاوز حدود الله هذا الذي فعل، هذا الذي فعل لا أحج معه، ما الذي سيؤدي هذا إليه؟ إلى أن يندثر الحج، لأن الحج لا بد له من أمير عليه، الناس ما تحج هكذا، يخرج الناس من بيوتهم وليس عليهم أمير، لا لا بد للحج ولهذا هنا في البلد عندنا، هناك أمير للحج، أمير مكة هو الذي يقود الحج، فالحج من قيادة وهناك قضاة وهناك جهات من الشرط وغيرهم يتابعون الناس؛ لأن هؤلاء في ولاية الآن الحجاج كلهم تحت ولاية من يتأمر على الحج، فإذا قال لا أنا ما أحج لأجله، لأن الذي سيحج بالناس فلان، فلا أحج معه، هذا سيؤدي إلى اندثار الحج بهذه الطريقة، ولهذا قال: «بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ» حتى الفاجر منهم يحج معه.

وهكذا الجهاد، الجهاد أيضا يجاهد معهم ما دام الجهاد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، ولهذا قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: نجاهد مع هؤلاء الأمراء وهم يقاتلون للدنيا؟، قال: فجاهد أنت على نصيبك من الآخرة، ما يضرك أنت، جاهد في سبيل الله أنت، أما كونه كما تتهمه بأنه إنما يريد الدنيا أو يريد الغنائم أو نحو ذلك فهذا أمر راجع له هو لا يضرك، فالحج مع كل بر وفاجر.

وهكذا صلاة العيد إذا صلى بالناس الحاكم وإن كان ظالما وهكذا إذا عين أحدا وهكذا إذا عين أيضا في أمر الحج ومقاماته مثل أن يؤم الناس أحد في عرفة أو نحو ذلك، الذي يتولى الحج هو الحاكم فإذا قام هو بالحج أو أقام نائبا عنه في الحج فإنه يحج معه، برا كان أو فاجرا حتى لو كان فاجرا، حتى لا تتعطل هذه الشعائر العظيمة من حج وجهاد وصلاة عيدين وصلاة جمعة فإنها تصلى خلفهم بررة كانوا أو فجارا، لهذا قال: «إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ» أي أن هذا الأمر مستمرا، لأن حكمة الشرع في بقاء هذه الشعائر العظيمة بأن تؤدى وإن كان الذي يتولاها فيه ما فيه من الخلل، ولهذا نص على الفجور، مع أولي الأمر برهم هذا واضح ما أحد يقول لن أحج مع هذا الأمر مع ولي الأمر لأنه بار وتقي لله، ما أحد يقول هذا

لكن يقول يتساوى كونه برا أو فاجرا، تظل الشعيرة قائمة، وعلى هذا نص أهل السنة وقالوا إن المخالفة في هذا مخالفة مبتدع، ليس لأحد أن يترك هذه الشعائر العظام ويقول الحاكم فيه ما فيه من الظلم والتعدي والتجبر فاترك الحج أو اترك الجهاد معه.

❁ **قال المصنف:** «وَنُؤْمِنُ بِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنَا حَافِظِينَ، وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ الْمَوْتِ، الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ».

عاد مرة أخرى إلى موضوع الملائكة، وسُمُّوا بـ«**الكرام الكاتبين**» من قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ [الإنفطار: ١٠-١١]، فهؤلاء من الملائكة الذين يكتبون على العبد ما يقع منه من قول أو فعل، كما في قوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، نؤمن بهم كما أخبر الله.

❁ **قال المصنف:** «وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ الْمَوْتِ».

لماذا لم يقل وبعزرائيل؟!

لأن الصواب أنه لم يثبت له اسم، ملك الموت كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]، أما تحديد اسمه بعزرائيل فلم يثبت في الأحاديث الصحيحة عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وإن وجد في كلام كثير من الناس ووجد في الأخبار الإسرائيلية لكن كما قلنا نحن لا نسمي الملائكة ولا الأنبياء باسم إلا إذا دل عليه النص ولأجل ذلك يُجتنب تسميته بعزرائيل لأنه لم يثبت تسميته بهذا الاسم.

❁ **قال المصنف:** «وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلًا، وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ فِي قَبْرِهِ عَنْ رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّهِ، عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَالْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ».

نؤمن بعذاب القبر قطعا ونعيمة، وبسؤال منكر ونكير، والقبر فيه مقامان اثنان:

الأول مقام الفتنة: والفتنة المراد بها سؤال العبد عن ربه ودينه ونبيه قال ﷺ: «**فَأُوحِيَ إِلَيَّ: أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ مِثْلَ- أَوْ قَرِيبَ- مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ**» فتنة عظيمة شديد لا يثبت فيها إلا من

ثبته الله عَزَّوَجَلَّ، فالمؤمن يجيب الجواب السليم فيفتح له باب إلى الجنة ويقال هذا مقعدك فيأتيه من طيبها وريحها- نسأل الله الكريم من فضله- ويوسع له في قبره، والفاجر- عياذ بالله- أو المرتاب يقول كلمة التردد «**هَا هَا لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا فَقُلْتُهُ**»، فيبدأ في عذابه- عياذ بالله- ويفتح له بابا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها نعوذ بالله من حال أهل النار.

هنا في أحاديث عذاب القبر ونعيمه فائدة مفيدة لعلها أن تحثنا على قراءة القرآن وذلك أنه جاء في المسند أن المَلك إذا قال سأل عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأجاب المؤمن قال هو رسول الله جاءنا بالبينات، قال الملك فما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، نسأل الله الكريم من فظله، نفعك قراءة كتاب الله، إياك يا طالب العلم أن تفرط في قراءة القرآن لا تفرط واجعل لك وردا من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، لا يزحمه اختبارات لا يزحمه أعمال اجعل القرآن شغلا من ضمن الأشغال، في يومك واجعل لك وردا من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وكلما تمكنت من ختم القرآن في مدة أكثر كلما نلت من الحسنات ما لا يحصيه إلا الله لأن الحرف- نسأل الله الكريم من فضله- بعشر حسنات، والقرآن فيه ألوف الحروف فبكل حرف- نسأل الله الكريم من فضله- ينال المؤمن هذا، ويحرص أيضا طالب العلم على الحفظ إن استطعت أن تحفظ القرآن كاملا فيا حبذا إن استطعت أن تحفظ نصفه أو ثلثه بحيث يكون عندك نصيب ومن أعظم ما يعينك على الحفظ- بعد تقوى الله- كثرة القراءة، فكثرة القراءة تعين على الحفظ، ولهذا بعض الناس مع كثرة قراءته يقول سأغلق المصحف اليوم سأعرض حفظي عليك يا فلان فقد يجد أنه يحفظ سورة كاملة وهو لم يشعر بسبب ترديده وإن كان الأنسب قطعا أن يكون له طريقة في الحفظ على شيخ لكن كثرة قراءة القرآن أمرها عظيم، حاول أن تقرأ القرآن أتدري أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان يقرأ القرآن في سفر الهجرة عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ ورآه كفار قريش عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، فكان يقرأ وهو على راحلته، أنت اقرأ وأنت على السيارة في زحام وفي إشارات اقرأ القرآن ستجد من الخير بقراءتك القرآن شيئا عظيما، ولا يكون أمر القرآن في حال الفراغ معاذ الله أن يكون القرآن بهذا المقدار، القرآن في نفسه شغل نفسه، القرآن اشتغل به شغلا، وتدري كيف كان ورد كثير من الصحابة كان وردهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم أن يختموا القرآن في كل أسبوع مرة، فكانوا يقرءون في الليلة الأولى ثلاث سور، البقرة وآل عمران والنساء، بعدها خمس سور في الليلة الثانية، ثم سبع سور، ثم تسع سور، ثم إحدى عشرة، ثم ثلاث عشرة، يصل إلى إلى «ق» المفصل، وسُمي بالمفصل لكثرة السور التي بينها فواصل، فيقرأ

المفصل في ليلة، فيختمون في أسبوع أنت أقل الأحوال لا تختم في أقل من شهر، وليس هذا على سبيل الحد والوجوب، لكن إذا اشتغلت بالقرآن وأعطيته ما ينبغي أن تعطيه، فستجد من بركة قراءة القرآن ولذة- نسأل الله الكريم من فضله- قراءته، ويقول ﷺ: «**مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيءٍ**» أي: ما استمع الله لشيء «**مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنَ الصَّوْتِ يَقْرَأُ القُرْآنَ يَتَغَنَّى بِهِ**» أو كما قال ﷺ، قراءة القرآن مما يحبه الله عَزَّوَجَلَّ لأنه كلامه، احرص على قراءة القرآن تجد هذا في قبرك وتجد بركة في حياتك ولهذا استطردنا إلى هذا عند قول الملك لما قال المؤمن هو رسول الله أتانا بالبينات قال ملك فما علمك؟ أي: كأنه يطلب منه دليلا على ما قال، فقال: «**قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ**» نسأل الله الكريم من فضله.

❁ **قال المصنف:** «وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ».

اسم الملكين الذين يسألان العبد عن ربه ودينه ونبيه.

❁ **قال المصنف:** «وَالْقَبْرُ رَوْضَة مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّة، أَوْ حُفْرَة مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ».

هذا ورد أن القبر إما أن يكون- نسأل الله الكريم من فضله- روضة من رياض الجنة على المؤمن لأنه يُفتح له باب إلى الجنة فيأتيه من ريحها وطيبها أو أن يكون- عياذ بالله- حفرة من حفر النار.

قال المصنف: «وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَة، وَالْعَرْضِ وَالْحِسَابِ، وَقِرَاءَة الْكِتَابِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ».

هذه مقامات في القيامة كلها:

- **البعث:** هو إحياء الموتى، والله يحيي كل الموتى من جن وإنس ودواب وطيور كلهم إلى ربهم يحشرون سبحانه وتعالى.
- **والجزاء:** فيبعثون ليجازَوا بما عملوا، فيجازى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.
- **والعرض:** يعرض على العبد أعماله، فيرى ما عمل في حياته كلها.
- **والحساب:** يحاسب على ما فعل.
- **وقراءة الكتاب:** كما قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ [الإسراء: ١٤] يقرأ كتابه فيجد ما فعله كاملا في حياته من خير أو شر.

❍ **والصراط:** والصراط هو الجسر الذي يمد على متن جهنم أعاذنا الله منها، وهذا الصراط مَن مر وجاوزه نجا من النار، ومن سقط من الصراط فإنه يسقط من الصراط إلى النار عياذ بالله، ويمر الناس على الصراط بحسب أعمالهم لا بحسب قوة أبدانهم ونشاطهم، فقد يمر الذي كان في الدنيا مُقعدا لا يمشي، فيمر كأنه الطرف، وقد يمضي الشاب النشيط في الدنيا يزحف زحفا، فيمر الناس على هذا الصراط على حسب أعمالهم حتى تعجز أعمال العباد، فمنهم من يمر كالطرف- نسأل الله الكريم من فظله-، فيجاوز هذا الهم تماما إذا جاوز الصراط فهو من أهل الجنة،ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كأجاويد الخيل ومنهم من يمر كركاب الإبل ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يزحف زحفا، على حسب أعمالهم، وفي الصراط كلاكيب- أعاذنا الله منها- والكلوب هو الحديدة المعكوفة، موكلة- عياذا بالله- بأناس يعلمهم الله تخطف هؤلاء مِن على الصراط ويلقون في النار نعوذ بالله من حال أهل النار.

❍ **والميزان:** الميزان له كفتان يجعل في إحداهما الحسنات وفي الأخرى السيئات، فإن رجحت حسناته نجا- بفضل الله- وإن رجحت سيئاته ولو بسيئة واحدة هلك فصار من أهل النار إلا أن يتداركه الله تعالى برحمته، سبحان الله رب العالمين مع أنه الحكم العدل الذي لا يظن مثقال ذرة لكن يجعل الأمر بين يدي العبد، هذا كتابك وهذه حسناتك رجحت أو سيئاتك رجحت، حتى يأتي العبد فيقول يا ربي أني لا أقبل شاهدا إلا مني، فيقول الله تعالى: «**كَفَى بِاللهِ شَهِيْدًا وَبِالمَلَائِكَةِ الكِرامِ**»، قال لا أقبل شهيدا إلا مني فيختم- نسأل الله العافية- على فمه، ويقال لجوارحه انطقي فتنطق جوارحه حتى يُعذِر العبد من نفسه، ويعلم أن سيئاته نعوذ بالله من أن تهلكنا سيئاتنا هذا ما فعل، في كتاب وفي الصراط والملائكة يشهدون عليه، ثم تشهد عليه جوارحه، نسأل الله العفو والعافية، فالمقامات مقامات عظيمة، ومقام القيامة والقراءة في آياتها ونصوص النبي ﷺ فيها عظيم أمرها وهي من أعظم ما يلين القلب ويجلب خشوعه وتقواه ويعين الإنسان على نفسه، أي: يكون في تلك المقامات العظام ﴿ **يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ** ﴾ [القارعة: ٤]، أنت معهم أنت لا تتفرج أنت ضمنهم، فإذا قرأت هذه الآيات فاستحضر أنك ستكون ضمن هذا الجمع الهائل وتدنى الشمس من الخلائق مقدار ميل ويكون الناس على حسْب أعمالهم، فمنهم من يلجمه عياذ بالله العرق إلجاما، يكون كاللجام، ومنهم من يأخذ العرق إلى حقويه أي: معقد الإزار، ومنهم من إلى ركبتيه، ومنهم من إلى كعبيه بحسْب الأعمال

ومنهم من يظله الله- نسأل الله الكريم من فضله- في ظله يوما لا ظل إلا ظله، نسأل الله الكريم من فضله.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).

(١) نهاية الدرس الرابع.

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ:

قال المصنف: «وَالجَنَّةُ والنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ، لا تَفْنَيَانِ أَبَداً وَلاَ تَبِيدَانِ».

أورد في هذه المسألة بعد كلامه عن البعث والجزاء، والعرض، والحساب، وغيرها؛ أمر الجنة والنار، وأن المؤمن يقر بأن الله –تعالى– جعل الجنة دارًا للمتقين، وجعل النار دارًا للكافرين، وأن الجنة والنار موجودتان الآن، قد خلقهما الله، كما دلت على هذه النصوص؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]، والشيء المعدُّ موجود، وقال في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤]، تقدم في حديث صاحب القبر: أن المؤمن يُفتح له باب إلى الجنة، فيأتيه من ريحها وطيبها، ويُفتح للكافر –عياذًا بالله– بابٌ إلى النار، فيأتيه من حرِّها وسمُومِها، فلا شك أنهما موجودتان، وتكاثرت بهذا الأحاديث عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، الدالة على أنهما موجودتان.

قال المصنف: «لا تفنيان».

أي: أنهما مستمرتان، لا يكون لهما ما يكون في الدنيا، الدنيا تفنى، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧]، أما الآخرة فهي دار استقرار مستديمة، لا تفنى دار المؤمنين، ولا تفنى دار الكافرين، جاءت نصوصٌ –أو أثار– فيها: أن النار –تحديدًا– تفنى، أمَّا الجنة فلا إشكال، لا يمكن أن يُقال فيها بهذا، الجنة باقية أبد الآباد.

والذي ينبغي أن يقال في مثل هذه الآثار: أن النار –أعاذنا الله منها– لمَّا كانت دركات، وكان أهل الكبائر يخرجون منها في آخر المَطاف؛ فإن الطبقة التي فيها أهل الكبائر تفنى، هذه الطبقة تحديدًا؛ لأن الرب أخبر أن النار –أعاذنا الله منها– دركات، فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥]، وتكاثرت النصوص في أن أهل الكبائر من الموحدين يدخلون النار ثم يخرجون منها حين يأذن الله –تعالى– بالشفاعة، وبرحمته تعالى، فإذا خرجوا منها؛ لم يعُد في هذه الطبقة أحد، فهي

التي تفنى، أما بقية الطبقات -أعاذنا الله منها- التي التي تكون للكافرين، وللشياطين؛ فهذه لا تفنى أبد الآباد مستمرة، فهذا الذي ينبغي حمله عليه ما ورد من أن النار تفنى؛ أن يفنى الموضع الذي فيه عصاة الموحدين إذا خرجوا منها، هذه النار -أعاذنا بالله منها-، هذه الطبقة فيها عذاب، فخرج المعذبون؛ وهم أصحاب الكبائر، فلما خرجوا لم يبق أحد يعذب، فتفنى هذه الطبقة، أمَّا الطبقات الأخرى التي فيها الكفار والشياطين والمنافقون فهذه باقية -عياذًا بالله-، ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ في النار؛ في أهلها: ﴿**وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ**﴾ [البقرة:١٦٧]، فهم مستمرون فيها أبد الآباد، «**لا تفنيان ولا تبيدان**».

ثم تكلم عن أن الله -تعالى- لم يكلف العباد إلا ما يطيقون؛ لقوله تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ [البقرة:٢٨٦] .

❁ **قال المصنف: «وَلا يُطيقُونَ إِلاَّ مَا كَلَّفَهُمْ».**

وهذا ليس بصواب، العباد يطيقون أكثر مما كلفهم، لكن الله رحمهم، فلو أن الله كلفهم بست صلوات؛ لأطاقوها، فالقول: بأنهم لا يُطيقون إلا ما كلفهم؛ ليس كالقول: «**لم يكلفهم إلا ما يطيقون**»، لم يكلفهم إلا ما يطيقون؛ لقوله تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ [البقرة:٢٨٦]، لكن فيما يتعلق بالعباد: لو أن الله فرض عليهم صيام أيام غير أيام رمضان، الذي يصوم شهر رمضان لا يعجز عن أن يصوم أيامًا أخرى، أمَّا الذي يعجز نهائيًّا عن صوم رمضان؛ فهو معذور، غير داخل في الكلام أصلًا.

ولهذا قوله: «**وَلا يُطيقُونَ إِلاَّ مَا كَلَّفَهُمْ**»: ليس بصواب.

❁ **قال المصنف: «وفي دُعَاءِ الأَحْياءِ وَصَدَقَاتِهِم مَنْفَعَةٌ لِلأَمْوَات».**

وهذا باتفاق أهل السنة: أن دعاء الحي للميت ينفعه، والنبي ﷺ قال: «**إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ**»، فدعاؤك لأمواتك ولأموات المسلمين ينفعهم -بإذن الله- إذا قَبِلَ الله الدعاء، وهكذا الصدقات؛ قال ﷺ: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ**»، وذكر منها: الصدقة الجارية، وذكر منها: الولد الصالح الذي يدعو له، والعلم الذي ينتفع به من بعده، فهم ينتفعون.

لاحظ أن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ -الطحاوي- لم يذكر إلا مسألة الدعاء والصدقات فقط، وهناك مسائل

اختلف فيها أهل العلم رحمهم الله من إهداء الثواب للموتى، فمثلًا: لو أن أحدًا صلى وجعل ثواب الصلاة للميت؛ ما يقال: صلى عن الميت، لا، لكن صلى، قال: أنا سأقوم من الليل، سأصلي إحدى عشرة ركعة، سأجعل ركعتين منهما ثوابًا لوالدي، هل يصل؟ هذه المسألة، وهكذا: لو أنه قرأ القرآن، وقال: اللهم اجعل ثواب قراءتي هذه لوالدي، أو لمن شاء من المسلمين، هل تصل؟ خلاف بين أهل العلم رحمهم الله، فمنهم من يقول: إنها لا تصل الأعمال إلا ما دل الدليل على وصُوله، وهذا قول الشافعي، وترجيح شيخنا ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يقول: هذه الأعمال، أعمال العبد نفسه حتى نقول: إنها تنفع الميت، ماذا نحتاج؟ نحتاج دليلًا، فجاء دليل على الصدقة، قال سعد رضي الله عنه لما توفيت أمه -في البخاري-: يا رسول الله! أن أمي افتُلتت نفسُها -أي: ماتت فجأة-، أينفعها إن تصدقت عنها؟ قال: «نَعَمْ»، قال هذا نصٌّ، فإذا تريد عملًا آخر هات نصًّا، الدعاء كما في الحديث الذي ذكرناه، قال: أمَّا الباقي فالأصل أن عمل الإنسان له هو، وهذا ما رجَّحه الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقلنا: أيضا رجحه شيخنا ابن باز، قال: إنه يعمل بالنصوص، وهكذا الحج والعمرة، أي: ورد فيها المرأة التي قالت -أو الرجل-: إن فريضة الله أدركت أبي شيخا كبيرًا لا يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال: «نَعَمْ».

قال: هذا -الآن- نصٌّ، الذين قالوا: تجوز إهداء الأعمال جميعًا، قالوا: هذه أمثلة وردت في النصوص، منها ما سُئل عنه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولو سُئل عن غيره لأجاب، لكن وافق أن السائل سأل عن هذه المسائل، فقالوا: لا فرق، إذا كانت الصدقة تصل؛ فما الفرق بين الصدقة وبين أن تقرأ القرآن وتجعل ثواب هذه القراءة للميت، الخلاف هذا -كما قلنا- قائم بين أهل العلم، وكثير من أهل العلم -الحقيقة- يرجح القول الثاني.

الأنسب لك حتى ينفع الله ميتك -بإذنه تعالى-: أن تعمل على الذي اتفقوا عليه، أي: الصدقة اتفقوا عليها، الدعاء اتفقوا عليه، فاجعل همتك فيما اتُفق عليه، أما المسائل التي اختلف فيها؛ فالخلاف في الحقيقة فيها قوي جدًّا؛ لأنه يقول: أنتم تقولون: إنها أمثلة، ونحن نقول: إن الأصل أن الإنسان له سعيه، ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم:٣٩]، فحتى أُخرج هذا النص من عمومه أحتاج إلى دليل يحدد عملًا من الأعمال، إذًا الخلاف فيه قوة، لكن مثل هذه المسائل -يا إخوة- ليس فيها تبديع، وليس فيها تفسيق، المسألة من المسائل التي يسوغ فيها الخلاف لا إشكال، والأدلة عند الطرفين أدلة قوية، لكن إذا أردت الشيء المؤكد؛ فافعل المتفق عليه؛ لأنك إذا تصدقت، قال الجميع كلهم -أصحاب القول الأول،

والثاني-: إن فعلك صواب، ومن أعظم ما يحتاجه الموتى هو الدعاء، لا يُغفل عنهم، لا يُغفل عن الموتى، فينبغي أن يلحَّ المسلم، وأعظمهم عليك حقًّا: والداك، أن تسأل الله -تعالى- لهما المغفرة، وأن لا تنساهما من الدعاء، الدعاء عظيم شأنه، قد يفرج الله -تعالى- بالدعاء للميت غمًّا وكربًا هو فيه.

قال المصنف: «واللهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى، لاَ كَأَحَدٍ مِنَ الوَرَى».

لاحظ مرة أخرى: أن هذه المسألة من مسائل الصفات، وقد تقدم كلامه على الصفات في أكثر من موضع، هذا الموضع نفيس جدًّا؛ لأن فيه إثبات الغضب والرضا، والأشعرية والماتريدية ينفون الغضب والرضا.

ما يدلك على مخالفة أبي جعفر رَحِمَهُ ٱللَّهُ لقولهم هنا على قولنا غير صحيح، ويؤكد هذا قوله: «**لاَ كَأَحَدٍ مِنَ الوَرَى**»، أي: أن غضبه ليس كغضب المخلوق، وأن رضاه ليس كرضا المخلوق، كما يقول أهل السنة: أن صفات الله -تعالى- على ما يليق به، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، ولهذا قال: ليس كأحد من الخلق غضبه تعالى، ممَّا يدلك على أنه يثبت هذه الصفات على ظاهرها، وأنه لا يقول كما تقول المتكلمة: أن الرضا هو إرادة نفع العباد، والغضب: هو إرادة الانتقام، لأنهم يحيلونه إلى الإرادة، لأنهم يقرون الإرادة، فيقال: هذه الإرادة من الله تشبه إرادة المخلوق؟ قالوا: لا، إرادة الله كما يليق به، نفس الشيء: الغضب كما يليق به، والرضا كما يليق به، فكل صفة يهربون منها، يقولون: إنَّها لا تليق بالله، لكن الذي يليق بالله الإرادة، نقول: إرادة الله كإرادة المخلوق؟ يقولون: معاذ الله، نقول: معاذ الله أن يكون غضب الله كغضب المخلوق، ثم يا لله العجب، غضب الله جبار السماوات والأرض هل يمكن أن يكون كغضب المخلوق؟ غضب رب العالمين الذي إذا غضب بطش بما شاء الله -تعالى-، يبطش بأمة بأكملها، كما بطش بأمة نوح، وقوم فرعون، هل هو كغضب المخلوق؟!! فغضب الله عَزَّوَجَلَّ كما يليق به، لأنهم ماذا يقولون؟ إن الغضب هو المترتب عليه؛ وهو الانتقام، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف:٥٥] ؛ أشد ما يكون الغضب يقال له، ليس الأسف بمعنى: الحزن، لا، معاذ الله، لكن آسف بمعنى: أنه أغضب الله، فلما أغضب الله؛ انتقم، فكيف تقول: إن الغضب هو الانتقام نفسه؟!! أي: بالتدمير مثلًا، أو غيره، والله -تعالى- ذكر أن الانتقام ينشأ عن غضبه، (فَلَمَّا آسَفُونَا -أغضبونا- انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ)، فكيف تقول: الغضب هو الانتقام، فلما انتقمنا انتقمنا؛ لا يليق أن يُقال هذا في

كلام الله، فالحاصل: أنه يقال: «**يغضب** -كما قال أبو جعفر رَحِمَهُ ٱللَّهُ- **لا كأحد من الورى**»، غضبه -عياذًا بالله تعالى- ليس كغضب أحد من المخلوقين.

قال المصنف: «وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رسُولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم».

ثم تكلم في أمر الصحابة، وأجاد الشارح رحمة الله تعالى عليه في الكلام على موضوع الصحابة رضي الله عنهم، وبيَّن فضائلهم، ويقال إجمالًا في أمر الصحابة رضي الله عنهم: الصحابة مزكَّون بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فالله شهد لهم ببلوغ أعلى مقامات الإيمان، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ﴾ [الأنفال:٧٤]، بلغوا أعظم درجات الإيمان، هذه في أي سورة؟ في الأنفال، ما أول الأنفال؟ لمَّا ذكر الله الصفات الخمس، قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ﴾ [الأنفال:٤]، سبحان الله!! ذُكرت ﴿هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ﴾ [الأنفال:٤] في أول السورة وفي آخرها، فلمَّا جاء في آخرها بيَّن الله أن المهاجرين والأنصار حازوا على هذه الرتبة: ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ﴾ [الأنفال:٤]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ [الحشر:٨]، خرجوا من ديارهم رضي الله تعالى عنهم وأموالهم، ليكونوا غرباء فقراء، أنت إذا خرجت من بلدك؛ تكون غريبًا، وإذا تركت مالكَ؛ صرت فقيرًا، ماذا يريدون؟ بما شهد علام الغيوب على قلوبهم؟ ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ﴾ [الفتح:٢٩]، أي: قدَّموا دينهم على دنياهم، ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر:٨]، قمة ما يكون من الشهادة لهم بالصدق، ماذا قال الله تعالى عَزَّوَجَلَّ في الصادقين؟ ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ﴾ [المائدة:١١٩]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩]، وهم المهاجرون، شهد لهم الرب بأنهم الصادقون، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال:٧٤]، وفي سورة الحجرات: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥]، ذكر -تعالى- الصادقين بالخصال؛ خصال الإيمان، وأخبر أن على الأمة أن تكون مع الصادقين، وأخبر أن الصادقين ينفعهم صدقهم يوم القيامة، هذا في المهاجرين، قال -تعالى- في الأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ

خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر:٩]، المفلحون من هم؟ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢]، اربط الآيات، هذه الآيات تكبِّل الرافضي أعظم تكبيل، فإذا قال: كفار، قلت: كذبت، قال الله: ﴿هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ﴾ [الأنفال:٤]، قال: لا يفلحون، قل: هم مفلحون، وهم حزب الله عَزَّوَجَلَّ، الحزب الحقيقي، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢]، إذا قال: إنهم كفار؛ نقول: كفار!! والله شهد لهم في الآية التي في سورة الفتح التي تلوناها قبل قليل: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [الفتح:٢٦] ؛ وهي لا إله إلا الله، ﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ﴾ [الفتح:٢٦]، هل هناك أحد أحق بـ «**لا إله إلا الله**» كافر؟ كيف يكون هو أحق بلا إله إلا الله وهو كافر؟!! ولهذا لو قرأ شيعي يريد الله ويريد الحق سورة الفتح؛ لفتح الله على قلبه، سورة الفتح فيها الشهادة للصحابة رضي الله عنهم على صدق قلوبهم، لأنهم يزعمون -قاتلهم الله- أن الصحابة منافقون، زكى الله قلوبهم، كما قال في المهاجرين: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ﴾ [الفتح:٢٩]، شهادة بأنهم يبتغون في داخلهم، مقصدهم ومرادهم: رضوان الله عَزَّوَجَلَّ، ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ في هذه السورة، في مواضع منها، وفي آخرها، لمَّا قال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ [الفتح:٢٩]، إلى آخر الآيات، وفيها الشهادة لهم رضي الله تعالى عنهم، ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ﴾ [الفتح:٢٩]، ثم قال: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ﴾ [الفتح:٢٩] ؛ كفار هم الصحابة!!! يا عدوَّ نفسك، والله يغيظ الكفار بالكفار!! كيف يكون هذا الكلام؟ لا يمكن أبدًا أن يركب المذهب الرافضي على القرآن بتاتًا، ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ﴾ [الفتح:٢٩]، كيف يكونون كفارًا، والله يُغيظ بالصحابة الكفَّار؟!!

ولهذا قال مالك: «**من أبغضهم على الغيظ كَفَرَ**»، لماذا؟ قال: «**لأن الله ذكر أنه يغيظ بهم الكفار**»، وهكذا النصوص الكثيرة في كتاب الله التي شهدت لهم، وجعلت من يأتي بعدهم تابعًا لهم؛ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم ﴾ [التوبة:١٠٠]، انظر كيف الأمة تتبعهم: ﴿بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠]، فرضي عن المهاجرين والأنصار دون شرط، لاحظوا الآية: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة:١٠٠]، ماذا فيهم؟ أكمل، قال:

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾ [التوبة:١٠٠]، لماذا لم يذكر الإحسان في المهاجرين والأنصار؟ لأنهم محسنون، ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [المائدة:١١٩]، وجعل الأمة تبعًا لهم، ولهذا تأمل الآيات: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ [الحشر:٨]، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر:١٠]، الذي يأتي بعدهم مباشرة مأمور بأن يدعو لهم، لذا قال ابن عباس: «**أمروا بالاستغفار لأصحاب محمد** ﷺ **فسبُّوهم**»، أي: عكسوا المسألة، مأمور بالاستغفار لهم، مَن ذكر الله بعد الأقسام الثلاثة: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ [الحشر:٨]، وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾، ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ [الحشر:١٠]، من ذكر ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ [الحشر:١١]، ليس هناك إلا ثلاثة أصناف: المهاجرون، والأنصار، ومن يأتي بعدهم مستغفرًا لهم؛ ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر:١٠]، أيُّ أحد يزرع الغل على الصحابة؛ فهو مبتدع ضال، على معاوية ومن معه، على علي ومن معه، على الزبير ومن معه، أي أحد يزرع غلًّا؛ فهو مخالف لهذه الآية، ولذا ذكر الله المنافقين بعدها: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ [الحشر:١١] انتهت أقسام المؤمنين، ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ [الحشر:١١]، ولهذا لا يتعرض للصحابة بالمسبَّة إلا أهل النفاق، ولهذا قال ﷺ «**لَا يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**»، ومَن الأفضل الأنصار أم المهاجرون؟ المهاجرون، فإذا كان من يبغض الأنصار لا يؤمن بالله واليوم الآخر؛ من باب أولى أن من أبغض المهاجرين، ثم كيف تبغضه؟ تبغضهم بمعنى ماذا؟ تبغضهم على ماذا؟ على نصرة الله ورسوله، تبغضهم على الإيمان، تبغضهم على أنك أنت حسنة، وآباؤك وآباء آبائكم من قبلُ حسنة من حسناتهم، من علَّمك القرآن؟ من علَّمك الأحكام؟ من أوصل إليك الإسلام حتى أوصل الإسلام إلى أقاصي الأرض؟ هم الصحابة رضي الله عنهم، وعلموها الأمة، ثم أخذ المسؤولية من بعدهم التابعون، ثم أتباع التابعين، ثم ظل الأمر، تجد الواحد يقول: أنا لا أنسى لشيخي الذي علمني القرآن الفضل، وأظل أدعو له بالرحمة والمغفرة، شيخك من علمه؟ قال: شيخه، ومن علَّم شيخه؟ شيخه، إلى أن تصل للصحابة، الذين كلكم حسنات للصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

ولهذا قال: «**وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم**»، ذكر: أن حبهم دين

وإحسان وإيمان،وبغضهم كفر ونفاق وطغيان، لا يقع في بغض الصحابة إلا أهل الطغيان، دائمًا الرافضة تشوِّش على ما وقع من القتال، لعلنا نتكلم لو مدة يسيرة، نقول: كيف قوتِل علي رضي الله تعالى عنه وأرضاه من قبل الزبير وطلحة في موقعة الجمل، وكيف قُوتل في صفِّين من قِبل معاوية، وقد ثبتت له البيعة، انظركيف يبدءون، وهذا من التدليس، لماذا قامت الحرب أصلًا؟ لماذا تبتر المسألة بترًا؟ بداية الحرب ما سببها؟ هل هم يقولون: لا نبايع عليًّا؟ الزبير وطلحة بايعَا عليًّا أصلًا، لكن قُتل عثمان ﷺ في المدينة وهو خليفة المسلمين، وزوج بنتي رسول الله ﷺ ، والمهاجر والسابق إلى الإسلام، ودُخل عليه في بيته وقُتل، فقال طلحة والزبير: لا بد من قتل القَتَلة، وقال معاوية في الشام: الله يقول: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [الإسراء:٣٣]، أنا ولي دم عثمان، أنا ابن عمه، من الذين قتلوا عثمان ﷺ؟ حَفنة الخوارج، أين ذهب؟ وهذه من الفتنة، حتى تعرف عذر الصحابة، أين ذهب هؤلاء الخوارج؟ من الفتنة أنهم دخلوا في جيش عليٍّ، طلحة والزبير ﷺ قالا: لا بد من قتل القتلة، وأمَّا البيعة فنسمع ونطيع لعلي ﷺ، وقال معاوية في الشام -لمَّا قال له أبو مسلم الخولاني: أتقاتل عليًّا؟ أفأنت مثلُه؟ قال: لا والله إني لأعلم أنه أفضل مني، وأولى بالأمر مني، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان ابن عمي وأنا ولي دمه، فليدفع إليَّ القتلة، وأنا أسلِّم له، فقال: ما قاتلت عليًّا إلا في شأن عثمان، لماذا لم يقبض عليٌّ على القتلة ويقتلهم؟ الأمر ليس يسيرًا، اضطربت الأمة اضطرابًا تامًّا، وهؤلاء القتلة ورائهم قبائل، وليس من السهل أبدًا أن تقبض عليهم كأنهم نعاج واحدًا بعد الآخر، فرأى علي ﷺ أن تكون اليد واحدة، وهذا الصواب، الصواب مع علي في هذا، طلحة والزبير أين كانا؟ في المدينة، وعلي؟ في المدينة، أين وقع القتال؟ في العراق، لو أراد طلحة والزبير أن يقاتلا عليًّا أين يقاتلانه؟ في المدينة، فما أراد طلحة والزبير أصلًا قتال علي، وإنَّما ذهبا إلى العراق لقتال قتلة عثمان، هذه حقيقة ما وقع، علي ﷺ لمَ تبعهم؟ تبعهم لأنه ولي الأمر، وقال: إن مثل هذه المسائل مسائل تكون إلى السلطان، وإلى ولي الأمر، وطلب منهما أن يرجعَا، ولم يذهب لقتالهما.

❍ **ثم ذكر كثير من المؤرخين وأهل السير:** أنه كاد أن يتفق الجميع على القتلة في العراق، لأنه اجتمع جيش علي وجيش طلحة والزبير، فأثار القتلة القتال في طرف الجيش، فظن جيش طلحة أنَّهم هُوجِمُوا، فوقع القتال على غير رغبة لا من علي ولا من طلحة، إذًا هذه حقيقة ما وقع، وليست حقيقة ما وقع أن طلحة والزبير يقولان: لا نرى بيعة علي، معاذ الله، همَا بايعا عليًّا أصلًا، لكن قال: إن لم تقتل أنت القتلة؛

قاتلناهم نحن، اتجهوا إلى العراق لقتال القتلة، ولو أرادوا قتال علي لقاتلوه في المدينة، وما شأنهم في قتاله؟ ليس بينهم وبين علي، هم بايعاه على السمع والطاعة، لكن قالا: إذا لم تقم أنت بهذا الأمر فسنقوم به نحن، الصواب مع مَن؟ الصواب مع علي ﷺ لا شك، هذه حقيقة ما وقع، أمَّا أن الصحابة لا يريدون ولاية علي؛ فهذا كذب الرافضة، ليس بصواب، لأنه لم يكن أحد أولى بالخلافة من علي مطلقًا، بل الصحابة هم الذين أصرُّوا عليه ليتولى الأمر بعد عثمان، وبايعه طلحة والزبير، فلما بايعاه، قالا: أنت – الآن- أمير المؤمنين، الخليفة مقتول، وقتله هؤلاء الأوباش الأنجاس، خذ بدم عثمان، فقال: يا إخوتاه!! أعبُدُكم وأعرابُكُم ها هم –الآن- معهم، لم تستطيعوا أن تتحكموا في العبيد الذين معكم، لأنه هاج إليهم أناس كثير، أي: لم تتمكنوا منهم، فكيف أتمكن أنا؟ فكان يرى أن تكون اليد واحدة حتى تكون الأمة على حال واحدة، ثم يُعرف القتلة بآيان ثم يقتلون، هذا حقيقة ما وقع.

○ **وعلى كل حال:** الواجب أن يترضى عنهم جميعًا، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا﴾ [الحشر:١٠]، يقع منهم ما يقع ﷺ؛ لأن الواحد منهم غير معصوم، فنستغفر الله لهم، لا أن نجعل غلًّا في القلوب عليهم؛ ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر:١٠]، أعظم أهل الإيمان هم الصحابة ﷺ، الواجب أن يُتحدث بإنصاف وتقوى لله عَزَّوَجَلَّ، وأن يُقال: هذا أمر هم فيه بين مجتهد أصاب؛ فله أجران، ومجتهد أخطأ؛ فله أجر واحد، ثم إن بحار حسناتهم ﷺ، والتي كلُّنا منها في بحار حسنات الصحابة، كل من يمشي على وجه الأرض من المسلمين اليوم يقرأ قرآنًا، يصلي، يتصدق، الذي علمك الإسلام شيخُك السابق، شيخك من علمه؟ شيخك من علمه؟ حتى تنتهي إلى الصحابة ﷺ، فلهم الفضل، لأن من دَلَّ على هدى فله مثل أجر فاعله، هم الذين أوصلوا هذا للأمة، فلهم بحور حسنات تغمر –بإذن الله تعالى- ما وقع منهم من السيئات، أمَّا أن الصحابة قاتلوا على الدنيا معاذ الله، هذه النبرة الفاسدة ليست موجودة عند الصحابة، يقول: أنا لا أريد عليًّا، أنا أريد آخر، هذا غير موجود، لأنه تمت البيعة لعلي جزمًا، لكن قالوا: اقتل قتلة عثمان الذي هو خليفة من قبلك فأبدى عذره رضي الله تعالى عنه، هذه حقيقة ما وقع.

وبذلك تسلم القلوب لعلي ولمعاوية معًا، لعلي ولطلحة والزبير معًا، أمَّا أن يُحزب الناس بحيث يكون هناك غلٌّ على من قاتل عليًّا كما تفعل الرافضة، أو غلٌّ كما تفعل الإباضية، غلٌّ شديد على علي، وعلي طلحة والزبير، وعلي عثمان، إيجاد الغل في قلوب الناس على أصحاب رسول الله ﷺ؛

هذا ليس سبيل المؤمنين الذين يأتون من بعدهم؛ ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر:١٠]، هذا الواجب، ولهذا يُكفُّ عمَّا وقع بينهم، ويُستغفر الله لهم، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

❁ قال المصنف: «وَنُثْبِتُ الخِلاَفَةَ بَعْدَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: أَوَّلاً لأبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ، تَفْضِيلاً لَهُ».

يقينا: أبو بكر أفضل الأمة بعد الرسول ﷺ، واختاره الصحابة عليهم الرضوان، وبايعوه مختارين عليه رضوان الله، ثم عمر بوصية من أبي بكر؛ لأن عمر كان أفضل الموجودين بعد أبي بكر فجَعل الأمر إليه، ثم عثمان، وتمت بيعة عثمان: بأن جعل عمر ﷺ الستة من أصحاب الشورى: طلحة، والزبير، وعبد الرحمن، وسعد، وعلي، وعثمان، وجعل الأمر فيهم يختارون منهم واحدًا، فتنازل ثلاثة منهم: تنازل طلحة لعثمان، وتنازل سعد لعبد الرحمن، بقي عبد الرحمن بن عوف، وعلي، وعثمان، فقال: أتجعلان الأمر إليَّ؟ أي: في اختيار أحدكما على ألَّا أَلِي من الأمر شيئًا، خرج -أيضا- عبد الرحمن، قال: نعم، هذا يدل على عدم رغبتهم، كل واحد يريد الخلافة لنفسه؟ أبدًا، إن أتت الخلافة وإلَّا، لأن لو كان هؤلاء كل أحد قال: أنا وضعني عمر، أنا لا أرضى أن يكون الخليفة غيري، عمر يعرف مَن وضعه، وضعها في أهل دين وعقل، فتنازلوا وبقي الأمر بين عثمان وعلي ﷺ جميعا، فسأل عبد الرحمن المهاجرين وسأل الأنصار، وسأل أمراء الأجناد: مَن أُوَلِّي؟ عثمان، أو علي؟ فوجد الجميع يقولون: عثمان مقدم على علي، فجعل الخلافة فيه، وبايعه عليٌّ مباشرة، ثم بويع عليٌّ بعد قتل عثمان ﷺ، على ما ذكرنا.

❁ قال المصنف: «وَهُمُ الخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ».

الذين قال النبي ﷺ: «**خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً، فَعَلَيْكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ**»، هم هؤلاء الأربعة ﷺ.

❁ قال المصنف: «وَمَنْ أَحْسَنَ القَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، وَذُرِّيَّاتِهِ المقدسينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ؛ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ».

لأن من علامات النفاق: التعرض لأصحاب النبي ﷺ وآل بيته، وزوجاته، علامة من

علامات المنافقين، ولهذا سعى المنافقون في حادثة الإفك إلى سبِّ زوجة رسول الله ﷺ، لهذا طريقة المنافق -عدو الله عَزَّوَجَلَّ- أنه يسعى إلى ضرب هذه القمم الشاهقة العالية من الصحابة وآل بيت النبي ﷺ، وزوجاته المطهرات رضي الله عنهنَّ وأرضاهنَّ.

۞ قال المصنف: «وعُلماءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ، وَمَنْ بعْدَهُم مِنَ التَّابِعِينَ -أَهْلُ الخَيْرِ والأَثَرِ، وأَهْلُ الفِقْهِ والنَّظَرِ- لا يُذكَرُونَ إلاَّ بِالجَمِيلِ».

قال ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم**»، هم التابعون، التابعون أفضل الأمة بعد الصحابة، وهكذا بعدهم أتباع التابعين، لماذا نكرِّر دائمًا السلف الصالح؟ السلف الصالح خير الأمة: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم**»، فهم خيريتهم في دينهم رضي الله تعالى عنهم، وفي علمهم، وفي كل أمر يُكتسب به الخير، وكانوا على هدى بلا أدنى شك، فالمخالفة لما كان عليه السلف؛ لا ريب أنها بدعة يقينًا؛ لأنهم كانوا على عقيدة سوية وعلي هدًى مستقيم، فالمخالف لهم هو المبتدع الضال، ولا يمكن أن يكونوا ضالين، حتى أتى هذا المبتدع من المعتزلة أو الجهمية أو الخوارج أو الرافضة واكتشف الحق والصواب.

۞ قال المصنف: «وَلاَ نُفَضِّلُ أَحداً مِنَ الأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ».

أولياء الله عَزَّوَجَلَّ مَن هُم؟ عرَّفهم الله في كتابه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٣]، فكل مؤمن تقي فهو لله ولي، يتفاوتون في المقدار بقدر ما يكون الإنسان مطبقًا لهدي رسول الله ﷺ، وبقدر ما يكون مقبلًا على العبادات، وعلى قراءة القرآن، وعلي الأعمال الصالحات؛ بقدر ما يكون مقامه من الولاية لله عَزَّوَجَلَّ، فكل مؤمن تقي فهو لله ولي.

۞ قال المصنف: «وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِم، وَصَحَّ».

الكرامات يريدون بها: ما يقعون من خوارق العادات التي تكون لأولياء الله عَزَّوَجَلَّ، مثل ما ذكر الله تعالى في القرآن عن مريم: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم:٢٥]، مع أن النخلة كانت في غير إبَّان ثمر، ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ﴾ [آل عمران:٣٧] -مع أنه

هو الذي يمُونها، وهو القائم عليها- ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ﴾ [آل عمران:٣٧]، فمثل هذه الأمور إذا ثبتت تُقبل، ولكن باب الكرامات جاءت فيه الشبهة لأهل البدع والضلال سببت دخول الشرك على كثير من الجهال، فقالوا: إن الأولياء من كراماتهم: أنهم في قبورهم يغيثون، وقالوا: إن من أنكر هذا؛ فقد أنكر الكرامات، لا، هذا شرك، ليس من الكرامة في قليل ولا كثير، بل الكرامة قد تقع للولي وهو لا يدري، فقولك: إن كرامة الولي معناه: أنه يمكن أن يُغيث في قبره؛ هذا ترويج للشرك، حتى إذا أنكر أحد هذا؛ قالوا: أنت تُنكر الكرامات، وهذا الذي فعلوه، قالوا لدعاة التوحيد لمَّا قالوا: هذا شرك، قالوا: إذًا أنت تنكر الكرامات، كيف ينكر الكرامات؟ هو يقر بالكرامات، ويرد على المعتزلة، ويثبت ما ثبت في النصوص، فكيف تقول: ينكر الكرامات؟ وينص عليها هنا، بل يقول شيخ الإسلام: «**ومن أصول أهل السنة: إثبات الكرامات**»، هذا ليس فيه إشكال، لكن كونك تقول: إن من كرامات الأولياء: أنهم إذا ماتوا يُغيثون الناس، هذا اسم الشرك، فكونك تطلق عليه كرامة أو غيره، وهذا من أكثر ما سبَّب انتشار الشرك؛ لأن هؤلاء زعموا أن من كرامة الولي أنه يغيث، وقالوا: إذا ما أقررت هذا؛ فإنك تكون منكرًا للكرامات، تلبيس، عبث بالجهال.

❁ **قال المصنف:** «وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ».

لاحظ كيف الآن؟ أشراط الساعة ذكرها في آخر شيء، وأشراط الساعة هي علامات الساعة، وهي على نوعين:

❍ **الأول:** أشراط صغرى.

❍ **الثاني:** أشراط كبرى.

❍ **الأشراط الكبرى:** هي التي تكون قُبيل القيام من الساعة الكبرى، وهي في حديث حذيفة بن أسيد: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ**»، هذه العلامات الكبرى، وهي كما ورد في الحديث: «**كَأَنَّهَا خَرَزَاتٌ فِي نَظْمٍ**»، أي: كأنَّها سُبحة، إذا انقطع الخيط الذي بها توالت، فهي تأتي تباعًا، أمَّا الأشراط الصغرى فهي كثيرة وبدؤُها من

بعثة النبي ﷺ، بعثة النبي ﷺ من أشراط الساعة، وموته من أشراط الساعة، فتح بيت المقدس من أشراط الساعة، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة يتطاولون في البنيان من أشراط الساعة، هذه أشراط صغرى، إذًا فعندنا أشراط صغرى، وأشراط كبرى، وهي العلامات التي تكون قبل الساعة.

قال المصنف: «وَلاَ نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلاَ عَرَّافًا».

الكائن: الذي يدَّعي علم الأمور الغائبة، وأنه لديه اطِّلاع على الغيب، وهو كاذب، وإنما كما في الحديث: «سأل أُنَاسٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الكُهَّانِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيْسُوا بِشَيْءٍ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تِلْكَ الكَلِمَةُ مِنَ الحَقِّ، يَخْطَفُهَا الجِنِّيُّ، فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ**».

لأن مسترق السمع يسرق السمع من كلام الملائكة، وورد في الحديث: «**إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ - وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَفَهَا، وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - فَيَسْمَعُ الكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا، فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ**».

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: في العجب، يصدقونه في تسع وتسعين كذبة لأجل كلمة واحدة من الصدق، لهذا تجد الذين يأتون إلى الكهان يمتلئون بجملة من الأكاذيب، ابن عمك سحرك، جارك يريد قتلك، زوجتك تبغضك، فيأتي معه جملة من الأكاذيب بسبب هذا الساحر أو الكاهن، لأن الكلمة هذه تضعها الشياطين للإفساد، والشياطين تحترق، نعوذ بالله، نسأل الله العافية، كأنهم في جهاد، يُعرضون أنفسهم للهلاك في سبيل إضلال الناس، ويكون وليُّهم الخبيث في الساحر أو الكاهن، ولهذا حدُّه القتل، الساحر أو الكاهن، ويجب قتله شرعًا، ولا يمكَّن.

قال المصنف: «فَهَذَا دِينُنَا واعْتِقَادُنَا ظَاهِراً وَبَاطِنًا. وَنَحْنُ بُرَآءُ إلى الله مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وبَيَّنَّاهُ».

ذكر فيه البراءة من المخالفين من الفرق الضالة: كالجهمية، والمشبِّهة، والمعتزلة، والجبرية، والقدرية، وأن هذا الدين هو وسط بين الجفاء والغلو، التوسط والوسطية هي التي كان عليها رسول الله ﷺ ، هذه الوسطية، من زاد؛ فقد غلا وصار من الخوارج، ومن قصَّر؛ فقد جفَا وصار من المرجئة، فهدي رسول الله ﷺ هو الضابط للوسطية؛ لأنه ﷺ قطعًا هو على الوسط، والله تعالى يقول: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:١٤٣]، قال ﷺ : «**عُدُولٌ**»، فهديه هو الوسط، فمن لزمه؛ فهو الذي على الوسط الذي بعث الله به نبيه، إن قصَّر؛ صار من الجُفاة، وإن غلا وزاد؛ صار من الغلاة، وانتهت بذلك مواضع الطحاوية وشرحها، وذكرها بشكل موجز، لكن فيه فوائد الحقيقة مزيَّة الدرس، المعتاد أنه يشرح متن الطحاوية نفسه، لكن الدرس بهذه الطريقة اضطرَّنا اضطرارًا لأخذ جملة من الفوائد من نفس الشرح، توسعنا فيها، وعُرفت شخصية العلامة الكبير ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والفوائد الكثيرة التي نفع الله عَزَّوَجَلَّ بها من شرحه.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).

ألقيت هذه الدروس في الفترة من الثلاثين من شهر ربيع الثاني إلى السابع من شهر جمادى الأولى سنة أربعة وأربعين وأربع مئة وألف من الهجرة النبوية
بجامع عبد الله الراجحي، بحي شبرا، الرياض
حرسها الله دارًا للإسلام والسنة.

(١) نهاية الدرس الخامس.